

المطران غريغوريوس بولس بهنام

يوحنا ابن العزبي حياته وشعره

معجمنا
سنة ١٩٨٤



١٩٨٤ ب.١



سلسلة يصدرها
المطران يوحنا إبراهيم
متروبوليت حلب

المراسلات : دراسات سريانية
مطرانية السريان الأرثوذكس
حلب - سورية

المقدمة

الإمارة يوحنا البراهيم
متروبوليت حلب للسرمان

حدثان هامان رافقا ايام علامتنا الكبير مار غريغوريوس
يوحنا العبري مفران المشرق ١٢٨٦ + .

الاول : الفصول الاخيرة من سلسلة الحروب الصليبية
التي كان لها عواقب وخيمة ومفجعة على منطقتنا الشرق
اوسطية وقد تسنى له ان يكتب عنها في مجلداته التاريخية .

والثاني : الغزو المغولي الفاشم بقيادة هولاكو حفيد
جنكيزخان . وقد شهد مطران حلب الشاب ابن العبري
سقوط مدينته ومقتل ما يقارب الخمسين ألفاً من أهل
حلب بحد السيف .

وفي عهد علامتنا ابن العبري كانت احوال الكنيسة
ايضاً مضطربة . اذ عمَّ الخراب ابرشيات الكرسي الانطاكي
السرمانى ، واندثرت اخبار بعض الابشيات السريانية
المهمة . اما كنيسة المشرق التي كانت برعاية وقيادة ابن
العبري فقد نالت قسطاً وافراً من الراحة والاطمئنان
وازدهرت في مجالات مختلفة وكل ذلك بهمته ونشاطه
وخدماته .

من هنا نستطيع ان نقيّم شخصية ابن العبري الادارية
والعلمية الفذة اذ رغم ككل الظروف السياسية العصبية
والاحوال الامنية المضطربة والقلقل المنتشرة في ارجاء
الكنيسة استطاع ابن العبري ان يكون شخصية علمية
وان يلج الى الحياة العامة من اوسع الابواب . واعماله
وحياته ومؤلفاته بقيت مفخرة لأمتة ولشعبه ولكنيسته ،
ومجدارة سمي عصره العصر الذهبي للكنيسة السريانية .

واليوم يسعدنا جداً ان نضيف الى سلسلتنا « دراسات
سريانية » هذا الكتاب بعنوان « ابن العبري حياته وشعره »
سبق للمدرسة الاحدية في القامشلي نشره عام ١٩٦٥ كما
سبق لمؤلفه الجليل الملمان مار غريغوريوس بولس بهنام
ان نشره على صفحات مجلته « لسان المشرق » السنة الثالثة
الاعداد ١ و ٢ و ٣ / ١٩٥٠ .

وعملنا هذا مساهمة متواضعة المهرجان الكبير الذي
سيقام احياءاً لذكراه في العام ١٩٨٦ بمناسبة مرور
سبعمئة عام على وفاته . وفي نيتنا ان ننشر بعض مؤلفاته
ايضاً بلغة الضاد .

وقفنا الرب في خدمتنا وكلل معنا هذا المسعى .

شمس الصهور

٣١ / ايار / ١٩٨٤

حیات

- ١ - أسرته
- ٢ - تسقفه
- ٣ - أعماله الروحية وروحه السامية
- ٤ - مفر يانته
- ٥ - قدومه الى المشرق
- ٦ - رحلاته الرعوية
- ٧ - اساقفته
- ٨ - علاقاته البطريركية
- ٩ - أعماله العمرانية في كنيسة المشرق
- ١٠ - وفاته
- ١١ - منزلته

تمهيد : لم تكن حياة هذا الفيلسوف الكبير إلا ينبوعاً
عذباً ، منحه الله لهذه الحياة في عصر اشتد به الظلم
الروحي في الشرق كله ، او اطلعه بدمراً متألقاً في سماءها ،
فبدد عنها ظلمات كثيرة طالما خيمت فوق ربوعها ، ولا زال
الى الآن هذا ينبوع العذب ينساب مترغماً في رياضها يروي
ظماً اولادها ، ويرد عنها عاديات الزمان ، ولا زال ذلك
البدر النير يتألق في سماءها يمنحها النور في لياليها المظلمة ،
ونحن اليوم اذا اردنا دراسة حياته كرجل عظيم عاش في
هذه الحياة ومنحها ما وهبه الله من عبقرية وسؤدد ، نكون
قد اضفتنا الى حياتنا الفكرية ، حياة رائمة مليئة بكل
عظيم وجليل ، فلم يكن ابن العبري إلا أحد ابطال
الفكر البشري ، ترك في هذه الحياة لا دويماً مرجعياً ، انما
نعمات منعمشة لا زالت الى الآن قيثاره العلم والدين ترددها
طرودة نشوى ، ولا زالت كنيسته التي انجبتته فخورة معجبة
بها تيك النعمات . وليس كاتب هذه السطور إلا احد ابناء
هذه الكنيسة الذين يعجدون النبوغ الفائق والعبقرية الخصبية
التألق في هذا الفيلسوف العظيم . وسندرس هنا حياته
العادية ، قبل التطرق الى حياته الشعرية ، فنجعل هذا
الدرس خطوة اولى للدراسات الشافية التي اخذنا على نفسنا
الخوض في غمارها ، متكلمين على نعمة الروح القدس ،
وسنرى ذلك في النقاط التالية :

١ - أسرته

لم يحدثنا التاريخ كثيراً عن هذه الأسرة المباركة التي انجبت فيلسوفنا الكبير ، ولكن مهما كانت من الامر ، فحياته المبطنة بالنور والعبير ، والمغلفة بالنبوغ والعبقرية ، خير ترجمان لهذه الأسرة العريقة « ومن ثمارهم تعرفونهم »

كان ابوه الشماس اهرن الطيب ابن توما اللطفي الملقب بتاج الدين (١) حكيماً زمانه ، من اعظم اهل عصره تقوي وورعاً ، وعلماً وفضلاً وثقافة ، ينحدر من أسرة ملطية عريقة بالمجد والسؤدد ، وكذلك كانت امه من فضليات النساء في زمانها (٢) وكفاها شرفاً انها انجبت ابن العبري .

لا نعرف شيئاً كثيراً عن حياة هذا الطيب الكبير ، غير ما تركه لنا ابنه الثابتة في سياق حوادث تاريخه ، وهو شيء بسيط بالنسبة الى حياة فضلي كنا نرجو ان يتحفنا مؤرخنا العبقري عن دقائقها وجلالها .

ان اهم شيء نستطيع ان نعرفه عن طيبينا « اهرن »

(١) اللؤلؤ المنشور ص ٤١١ .

(٢) سيرة ابن العبري المنظومة ، بقلم ديوسقوروس جبرائيل البرطلي .

كوانه نشأ في مدينة ملطية مسقط رأسه . وهي منبت رهط
كبير من علمائنا السريان وفلاسفتنا ومؤرخينا ، وأنجب
اولاداً كثيرين ، كان كلهم فاضلاً ، وهم : ميخائيل ، وموفق ،
ودمنيا ، وغريغوريوس الفيلسوف مفران المشرق ، واصغرم
برصوم الصفي المفران وناهيك باب ينجب مفرانين عظيمين
لكنيسة الله المقدسة ! !

ولفيلسوفنا أشعار ومرات في اخوته هؤلاء (١) والظاهران
جميعهم ذهبوا الى ربهم قبله ما خلا برصوم .

مكث رئيس هذه الاسرة المباركة « اهرؤن » في
مدينة ملطية ، حتى اضطر الى تركها لما سنعرفه الآن .
وقد قاسى آلاماً كثيرة شأن سائر سكان هذه المدينة من
جراء غارات التتر عليها ومن جميع النواحي المحيطة بها .
وكان يريد تركها منذ شمر بالخطر حسبما يحدثنا ابنه عنه
في تاريخه ، ولكن لم يوفق للمرة الاولى ، واليك حديث
المؤرخ عنه :

« وكان جملة من يريد الخروج باهله والذي ، فاحضر
الدواب ، وكانت لنا فيها بغل للسرّج ، فلما ارادوا شد
الاكاف عليه ليحملوه شمس وتفلت فيدينا هم يتبعونه في

(١) ديوانه المطبوع في دير مار مرقس بالقدس سنة ١٩٢٩ .

في الزقاق يلزموه ، قالوا لهم : ان الفتيان من العامة
وثبوا في باب المدينة ، وينهبون كل من رأوه يخرج ،
فامسك والذي عن الخروج واجتمع بالمطران ديونيسيوس (١) ،
وتشاوروا في مرابطة المدينة ، وجمعا المسلمين والنصارى
في البيعة الكبيرة ، وتحالفوا ان لا يخون بعضهم بعضاً ،
ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مدراة
القناتار والقيام بحفظ المدينة ، والبيوتة على اسوارها ،
وكف اهل الشر عن الفساد ، فنظر الرب الى حسن
نياتهم ودفن العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم
يعرضوا اليها وكان ذلك سنة ١٥٥٤ للاسكندر
١٢٤٣ م (٢) الا انهم في هذه السنة نفسها تركوا ملطية
الى انطاكية ، وكان « اهرن » اشهر طبيب في مدينته .
وربما اسمعه طبه ببعض الفائدة تجاه القناتار المغيرين فاستطاع
بواسطة ذلك ان ينجو بنفسه واسرته . قال ابنه في هذا
الصدد : « وفي سنة احدى واربعين (٣) غزا يساور فوين
الشام ووصل الى موضع يسمى حيلان بل باب حلب ،
وعاد منها لحفي اصاب خيول المغول واجتاز بلطية وقرب

(١) هو ديونيسيوس عنجور اصبح بطريكاً « ١٢٤٦ »

(٢) مختصر الدول ص ٤٤١

(٣) هي سنة احدى واربعين وستاية هجرية - مختصر الدول

ص ٤٤٥ .

بلدها ، ورعى غلاتها وبساتينها وكرومها واخذ منها اموالاً
عظيمة حتى خشل النساء وصلبان البيع ووجوه الأناجيل
وآنية القداس المصوغة من الذهب والفضة ثم رحل عنها ،
وطلب طبيباً يداويه في سحج عرض له ، فاخرج اليه والذي ،
وسار به الى خرتبرت (١) فـدبره حتى برأ ، ثم جاء ولم
يطل المقام بلطية ورحل بنا الى انطاكية (٢)

(١) هي خربوط الحالية .

(٢) كانت انطاكية من اعظم مدن سوريا وتعتبر احدى قواعد
المشرق وعواصمه الكبرى ، على جانب عظيم من الجمال
الطبيعي وطيب الهواء وعذوبة الماء ووفرة الفواكه وسعة
الخير « معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ص ٣٨٢ ، وقد
تبوأها ملوك الفرنجة منذ سنة ١٠٩٨ م وكان يتولاها يوم
دخلها اهلون الطيب (بوهيموند) الخامس باسم « امير
انطاكية وطرابلس » من سنة ١٢٣٣ الى سنة ١٢٥١ .
وكانت انطاكية حصينة جداً يحميها جبلها ، ويحفظ بها نهر
العاصي ، وتحيطها عدة بروج ، وصفها العيني في كتابه عقد
الجهان بما يأتي : « ان دور منور انطاكية اثنا عشر ميلا ،
وعدد بروجها مائة وثلاثون برجاً يعلوها اربعة وعشرون
الف شرفة » .

كان المسيحيون يؤمنونها هرباً من غزوات التتر وغازات

فسكنها (١) .

مكث الطيب « اهرون » في انطاكية زهاء ثلاث سنوات بعد هذا التاريخ ، فامتدت يد الخراب اليها ايضاً حيث نكل بها التاتار من جديد ، فتركها كثيرون من سكانها واحتموا بالجبال المجاورة لها ، وكان بين الهاربين طيينا الشيخ اهرون ، وكان ابنه غريغوريوس قد اصبحت أسقفياً في هذه السنة ، وهي سنة ١٢٤٦ واليك حديثه في ذلك :

« في تلك السنة صار كاتب هذه السطور أسقفياً لجوباس ، وحضر مجمع انتخاب مار ديونيسيوس (عنجور)

المغول ، فيحفظون براحة وسلامة داخل اسوارها ، وكانت ذات تجارة واسعة يؤمها تجار العراق وما بين النهرين والشام برأ ، وترسو في مينائها السفن ناقلة اليها البضائع بحراً ، وكان عدد سكانها ينيف على مئة الف بين فرنج وسوريين وروم وارمن ويهود ، وكانت لنا فيها كنيسة كبيرة ، بنى البطريرك اغناطيوس الثاني سنة ١٢٣٧ في جوارها داراً لبطريركية كبرى وكانت لنا ايضاً فيها ثلاث بيع اخرى ، الاولى على اسم المذراء ، والثانية على اسم مار جرجس ، والثالثة على اسم مار برصوم .

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٤٤٦ .

بطريكاً في دير مار برصوم (بقرب ملطية) . . .
واهرون الطيب الشيخ والد الاسقف كان في وقت البيادر
بضيعة اسمها (مرغا) مع ابنه الصغير برصوم ، ولما هجم
التاتار لم يرد ان يهرب الى الدير مع بقية أهل القرية ،
لكنه نجا الى ناحية اخرى وصعد الجبل واختفى في مغارة
حصينة على نهر الفرات ، واحتفى هناك مع ابنه الصغير
زهاء اربعين يوماً حتى جلا التاتار ، وقد غرق لهم بغل
واحد في النهر ، وكان الهاربون كثيرين في هذا الموضع
المسمى برعاما وكانوا يخرجون في الليل ويجلبون طعاماً
لهم ولواشيهم (١) .

ومكث اهرون الطيب باهله في مدينة انطاكية الى
سنة ١٢٥٢ حيث انتقل بهم الى حلب ، وكان ابنه
غريغوريوس في اواخر هذه السنة قد نقل الى مطرانيته
وبعد سنة ١٢٥٢ لم نعد نعرف شيئاً عن الطيب اهرون
وربما ذهب الى ربه بعدها بقليل . كان هذا الطيب عريقاً
بالمسيحية ، لا كما توم بعض المستشرقين انه كان يهودياً
فتنصر ، منخدعين بالاسمين **اهرون** - **وابن العبري** ،
اما اسم **اهرون** فكان مستعملاً عند المسيحيين كثيراً
حتى ان بعض الاساقفة كان يسمى **اهرون** مثل ابن

(١) تاريخ الدول السرياني ص ٤٩٢ .

المعدي البطريك . واما الاسم الثاني ابن العبري فليس
دلالة على اليهودية ، فقد نفى هذا الظن ابن العبري نفسه
في بيت مشهور ، واليك قوله عن نفسه بالسريانية :

أدوس وهدنا على حدك حنن حمر هدنا
لا لارهدنا ان نمنه من حدنا حمرنا
هدنا ما به من نمنه من حدنا ان نمنه
ولا لارهدنا من حدنا ما لا هدنا

وهذه ترجمة قوله بالعربية :

« اذا كان الرب قد سمى نفسه سامرياً ، فلا غضاضة
اذا دعوك بـ ابن العبري فهذه التسمية متأتية من نهر
الفرات ، ولم تتخذ عن دين مشين او لغة عبرية (١) ، وقد
دحض العلامة مار اغناطيوس افرام الاول وهم المستشرقين
هكذا بمقال مستفيض نشره في مجلة الكلية الاميركية في
بيروت سنة ١٩٢٧ وفي مجلة الحكمة السريانية بالقدس ، وفي
كتابه النفيس « اللؤلؤ المنشور (٢) »

هذا كل ما نستطيع معرفته عن هذه الاسرة

(١) ديوانه ص ٧١ . (٢) اللؤلؤ المنشور ص ٤١٣ .

المريقة التي خلدها ابنها البار مار غريغوريوس ابن العبري
مفريان المشرق بنبوغه وخلوده .

انبثق فجر وجوده في مدينة ملطية سنة ١٢٢٦ م
وابواه من علمت وجاهة وثقافة وتقوى ، وسمي في المعمودية
يوحنا (١) قدير في بيئة علم وادب ودين ، ونشأ في حب
الفضيلة والتسامي في ممارج السؤدد والكمال فانطبعت في
نفسه ، منذ نعومة اظفاره اخيلة الخير والهدى حتى برهن
ان الله اعده لامر عظيم .

انس اهرون في صغيره « يوحنا » نباهة وشعر بالذكاء
الخارق الذي منحه الله ، فوطد العزم على تمهده بالمعلم
والادب منذ طفولته ، فراح يلقنه اصول العلوم واللغات
حتى حاز في وقت قصير نصيباً صالحاً منها .

ان اول شيء درسه فيلسوفنا في ملطية كان اللغة
السريانية ثم حذق طقوس الكنيسة والكتاب المقدس وشروحه
وتفاسير آئمة المسيحية الاولين . ثم قرأ الطب على ابيه (٢)
مقتنياً آثاره فيه وهو حكيم زمانه ، كما درس عليه ايضاً

(١) القاريغ السرياني المنقوش على ضريحه في دير مار متى .

(٢) اللؤلؤ المنشور ص ٤١٣ .

علوم الفلسفة (١) منذ اشتهد مساعده في حذق المعارف البشرية .

ويخبرنا هو نفسه عن دراسته فيقول : « شغفت بحجة العلم منذ نعومة اظفاري ، فحذقت الكتب المقدسة وتفاسيرها الضرورية ، واخذت اسرار كتب الملافة القديسين عن مهرة المعلمين . ولما بلغت العشرين من عمري اضطرني بطريك عصرنا الى قبول رئاسة الكهنوت « الاسقفية » فاضطرتني الموقف على منازلة ارباب الديانات الاخرى المسيحية وغيرها ، فدرست ذلك زمناً طويلاً حتى حذقته . . . ثم قررت على ارتشاف حكمة اليونان فدرست العلوم الطبيعية والآلهية ، والرياضات والهندسة ، والفلك ، والهيئة . وبما ان الحياة قصيرة والعلوم واسعة اخذت من كل هذه العلوم الضروري فقط ، واشبهت حينئذ - بمد تدرجي بجميع هذه العلوم - رجلاً يوشك على الغرق في بحر خضم (٢) . »

ويحدثنا كاتب سيرته المنظومة انه كان ينتجع موارد العلم اينما كانت ، فيبحث عن مهرة العلماء يأخذ عنهم ، ويرتاد البلدان طلباً للمعرفة ، فشبهه بالنحلة التي ترتاد الازهار

(١) ترجمته بقلم شيخو في اول كتابه علم النفس الذي نشره .

(٢) كتاب الجمامة - تأليفه ، طبعة الاب دولباني « مار

فيلكسينوس » في دير الزعفران سنة ١٩١٦ ص ٦٦ .

لتجمع الشهد (١) ، وما زال كذلك حتى سنة ١٢٤٣ حيث رحل مع ابيه الى انطاكية ، وكانت نفسه التواقة الى العلم والكمال تتخض عن امور عظيمة جداً ، فانزوى في مغارة منقطعة في زاوية من زوايا دير بقرب انطاكية سنة ١٢٤٤ وقضى في هذه العزلة الهادئة سنة كاملة حيث هبط على نفسه الطاهرة الوحي الالهي ، وزاره في منسكه هذا البطريرك اغناطيوس (٢) .

ولما كانت نفسه التواقة الى العلم لم تشبع بعد ، ترك صومعته الهادئة وانتجع مع رفيق له يدعى صليبا (٣) مدينة طرابلس الشام حيث انهى دراسة الطب والبيان والمنطق على الاستاذ يعقوب النسطوري (٤) .

وحقق هذا العلامة من اللغات ، السريانية ، والعربية ، والفارسية ، والارمنية (٥) ، وكان في جميعها من الكتاب المبرزين حتى نعت (ببحر الحكمة) (ونور المشرق

(١) سيرته المنظومة .

(٢) صار اسقفاً ومفرباناً ثم بطريركاً .

(٣) ترجمته السريانية بقلم الاب دولباني ديوانه ص ٢ واللؤلؤ المنثور ص ٤١٣ وترجمته بقلم شيخو .

(٤) ترجماته المنوه عنها .

(٥) اللؤلؤ المنثور ص ٤١٤ .

والمغرب () وملك العلماء () واكبر الحكماء () والاب
القديس () والاب العارف بالله () وزينة المؤلفين ()
(واكليل المفارنة) (وتاج الرؤساء) (١) . (ودائرة
معارف القرن الثالث عشر)

٢ - تسقفه

« لا تخفى مدينة موضوعة على جبل ، و « لا يوقدون
سراجاً ويضعونه تحت المكيال (٢) ، ، هكذا تضيوعُ عرف
طهره وفضيلته وعلمه ، فاختره الروح القدس ليؤيد به
كنيسته المقدسة (٣) فناداه البطريرك مار اغناطيوس داؤد
(١٢٢٢ - ١٢٥٢ م) ورسمه امقفاً لجوباس القريبة من
ملطية (٤) وذلك في عيد الصليب (٥) سنة ١٢٤٦ ولم يكن
قد تجاوز العشرين من عمره (٦) ، وشرع يرسم الخطط للخدمة

(١) ترجمته السريانية بقلم الاب دولباني « مار فيلكسينوس ،

ص ١ .

(٢) مت ٥ : ١٤ و ١٥

(٣) سيرته المنظومة .

(٤) سيرته المنظومة وبقية سيره المنوه عنها .

(٥) سيرته المنظومة .

(٦) كتاب الحمامة ص ٦٦ .

الملل التي اتدبه الرب اليها ، فأفرغ أقصى جهوده لاصلاح
امور رعيته هذه ، وكانت سعيدة الحظ غير انه لم يمكث
الا سنة واحدة فقط حيث نقل الى اسقفية لاقبين على اثر
استقالة اسقفها امرون وانتقاله الى اورشليم ليقضي بقية ايامه
متسكماً وكان ذلك سنة ١٢٤٧ بامر البطريرك اغناطيوس
مبابا ، فمكث في ابرشيته هذه الجديدة خمس سنوات يفرغ
كل جهوده في رعايتها واعلاء شأنها من الوجهتين العمرانية
والروحية ، باذلاً كل ما في وسعه لخير ابنائها (١) .

وفي سنة ١٢٥٢ نقل الى مطرانية حلب على اثر ارتقاء
باسيليوس صليبا ابن يعقوب وجيه (٢) الى رتبة مفرانية
المشرق باسم اغناطيوس ، وكان حظ حلب سعيداً بهذا
المطران العالم الهمام ، لانه افرغ جهوداً مشكورة في خدمتها
فمكث فيها زهاء اثني عشرة سنة ، كان فيها مثلاً اعلى
لراعي الصالح .

(١) جوباس ولاقبين كانتا مدينتين مجاورتين للمطية ، وقد خربتا
منذ القرن الثالث عشر نفسه .

(٢) صليبا بن يعقوب وجيه ، هو رفيق العلامة ابن العبري في
دروس البيان والطب والفلسفة ، صار مطراناً لحلب ، ثم
مفرياناً للمشرق سنة ١٢٥٣ ، ولم يتوفى بادارة الكنيسة ،
وتوفي في طرابلس سنة ١٢٥٨ « ترجمته » في تاريخ كنيسة
المشرق ،

٣ - اعماله الروحية ، وروحه السامية

لهذا الحبر الهمام اعمال جبارة في حقل الكنيسة منذ دخولها ابواب العمل ، فان الابرشيتين اللتين ترأسهما في بادىء الأمر لم يخبرنا التاريخ عن اعماله العمرانية والراعية فيها ، غير اننا نعلم اي عمل كان لديه حينذاك .

ان الفترة التي مرت على اسقفنا الشاب في جوباس ولاقين ، كانت فترة قاسية جداً بالنسبة الى تكوين شخصيته وعبقريته ، فقد كانت نفسيته الفتيمة تتمخض باحداث فكرية هامة ، تغوص في بحر العلم تارة ، وتطفو طوراً ، والافكار المضطربة القلقة تصدم هذه النفس الناشئة ، تريد جرفها في هوة الهلاك ، او تحطيمها على الشواطىء الصخرية البعيدة ، وقد حدثنا عن حالاته النفسية المضطربة في السنوات السبع التي قضاها في جوباس ولاقين ومن ذلك نفهم انه كان يقاسي جهاداً نفسياً جسيماً ، واليك كلامه بخدافيره : « لما بلغت العشرين من عمري ، اضطرني بطريك عصرنا الى قبول رئاسة الكهنوت وكان لا بد لي من مقارعة خصوم الكنيسة يراهين قاطعة فدرست هذا الفن زماناً طويلاً . ثم حصرت همتي في تعلم حكمة اليونان وكنت في هذه الفترة اشبه رجلاً غارقاً في بحر خضم بلاطم الامواج ويرمي يديه هنا وهناك لعله ينجو من

الفرق ، وبما اني لم ارو غليلي من كل هذه المعارف سواء
كانت كنيسية ام علمية ، فقد اوشكت ان اسقط ، ولست
استطيع الآن ايضاح ما حاق بي من فحاح واشراك ،
لان ذلك يضر بكثيرين من ضعفاء النفوس . وخلاصة القول
لو لم يعضد الرب قلة ايماني في هذه الظروف القاسية
ويرشدني الى مطالعة كتب اساطين الزهد كالاب اوغريس
وغيره من جهابذة الشرقيين والغربيين لهويت في هوة
الضلال ، وقطعت كل رجاء من حياتي الروحية لا الجسدية ،
فطالمت هذه الكتب سبع سنوات متوالية وفي هذه المدة
ايضا اشقتني عثرات كثيرة وشكوك لا تحصى ، وصككت
احيانا اسقط في الكفر . حتى اشرقت علي " بعض اشعة
من النور الخفي كالبرق الخاطف ، وسقطت من عيني "
قشور الشكوك فانفتحتا وابصرت بعض الشيء (١) .

هذا ما نعرفه عن اعماله الفكرية ، واحواله النفسية
في اوائل عهده بالاسقفية ، اما بقية اعماله كاسقف فقد
كان وسيط خير وسلام بين البطريركين المتنازعين - علي
الانفراد بالرئاسة العليا ، وهما ديونوسيوس عنجور ويوحنا
ابن المعدني ، غير انه لم يعد بطائل في مساطته ، لأن

(١) الحمامة لابن العبري ، طبعة دير الزعفران الباب ٤

النزاع كان قد اشتد لأسباب لا محل لذكرها هنا ، وقد تألم اسقفنا الشاب من هذه الامور (١) .

وفي سنة ١٢٥٨ م حاصر (هولاكو) مدينة حلب ، وكان مطراننا الشاب على كرسيها فخرج الى الفاتح المغولي يستعطفه بسكان المدينة ، غير ان شفاعته ذهبت سدى لأن الجند اقتحموا المدينة وانتشروا في كل انحاءها يعملون السيف في رقاب السكان ، فقتل خلق كثير من المسلمين والنصارى (٢) حتى ان الذين قتلوا في حلب اكثر من الذين قتلوا في بغداد (٣) .

ومن اعماله العمرانية في مدينة حلب ، اثناء رسالته عليها انه بنى فندقاً كبيراً بجانب الكنيسة لفائدتها (٤) وله ما عدا ذلك اعمال اسقفية كثيرة اشاد بها كاتب سيرته المنظومة (٥) .

-
- (١) راجع ترجمة هذين البطريركين في تاريخ ابن العبري الكنسي
 - (٢) تاريخ الدول السرياني ص ٥١٠ .
 - (٣) مختصر الدول ص ٤٨٧ .
 - (٤) ترجمته السريانية .
 - (٥) سيرته المنظومة بقلم ديوسقورس جبرائيل البرطلي .

ولقد نال حظوة كبرى عند هولاء كو نفسه ، بواسطة
الطبيب الذي كان يتفوق على كثيرين من اطباء زمانه وكثيراً
ما تراه في مدينة (اردو) (١) في بلاط هولاء كو صحبة
جميع اطباء الدين في خدمة الملك (٢) وكان له هبة كبرى
واحترام جليل في هذا البلاط سواء عند رجاى البلاط او
عند ملك الملوك نفسه (٣) .

اما روحه السليمة فتنبجلي في كونه اخلاص الود لكل
البطريكين المتنازعين ، فان ديونيسيوس عنجور كان صديقاً
لاسرتة منذ كانت في ملطية (٤) فرعى له حرمة هذه
الصداقة ولم يذكر ايام محنة الكفرة حتى اغتياله سنة
١٢٦٩ ، ثم عاد الى نده البطريك يوحنا بن المعدني فصار
من اكثر الاساقفة تأييداً له ، وقد ادعى بذلك حق
شخصية ابن المعدني وقداسته وعلمه حتى انه رثاه عند وفاته
بقصيدة ذرف فيها لا دموعاً بل قطعاً من كبده مفطرة ،

(١) مدينة اردو ، هي ، اردوباليق ، وتسمى ايضاً قراقورم ،
بناها المغول في نواحي همدان « مختصر الدول ص ٤٣٣ -
٤٣٤ و ص ٤٦٥ »

(٢) تاريخ الكنيسة في ترجمة مار اغناطيوس يشوع .

(٣) فيها ايضاً .

(٤) مختصر الدول ص ٤٤١ .

فخلع عليه اوصافاً فائقة لا يمكن ان يصورها شاعر ما
لم تكن منبثقة من نفس تحيش بالألم الشديد على فقده من
جهة ، وتقديسه وتعظيمه من جهة اخرى ، فقد سمّاه فيها
« شمس الزمان » و « ضياء الكنيسة وعمودها »
و « قدس الاقداس » و « تاج الامة وعلمها الرفيع » الى ان
يقول له : « لتفن الحياة بدون حياتك يا ابا الحق ،
ولتنسني يميني ان نسيتك ، فبفقدك امتلأت البيعة ظلاماً ،
وبعدك اضحى كلها كالحأ نقصاً (١) » .

هذا كل ما نستطيع معرفته عن علامتنا ابا اسقفية ،
وقد رأينا في هذه السطور انه كان مثلاً حياً للراعي
الصالح ، وصورة مجسمة للاسقف الحقيقي ومثلاً اعلى
للمجاهد البطل ، والعامل النشط في حقل العلم والفضيلة
والدين .

٤ - مفرانيته (★)

طارت لاسقفنا العلامة شهرة واسعة في عموم انحاء

(١) ديوانه ص ٣٢ - ٣٥ .

(★) المفرانية ، رتبة كنسية ، نعتي بها رئاسة اسقفية المشرق ،
وصاحبها يدعى « مفراناً » ومعناه « المتمر » وهي تلي
البطريركية بالرئاسة والكرامة الرسولية .

الكنيسة السريانية ، وذاع فضله وعلمه في كل الاقطار ،
ومرأت روحه الطيبة المبرهنة على كونه مثلاً حقيقياً
لاراضي الصالح ، فرشحه البطريرك ابن المعدني (١) وكتب
عنه المشاركة يصف مناقبه السامية التي تؤهله ان يكون
اماماً عاماً لكنيسة المشرق الارثوذكسية .

ولما تبوأ كرسي البطريركية مار اغناطيوس يشوع سنة
١٢٦٤ ، وكانت كنيسة المشرق بدون مفريان منذ ست
سنوات بعد ان غادرها المفريان اغناطيوس صليمان بن يعقوب
وجيه سنة ١٢٥٨ ، اجتمع هذا البطريرك الجديد باساقفته
في مدينة (سيس) من اعمال كيليكية ، ودعا المترجم
لمفريانية المشرق لما عرف عنه من الحنكة الادارية ، والمنزلة
العلمية والدينية واللاهوتية .

ان حفلة تنصيب ابي الفرج غريغوريوس (٢) ابن العبري
مفرياناً للمشرق كانت من اروع الحفلات الدينية في تاريخ
الكنيسة السريانية ، وجرت حفلة التنصيب هذه في كنيسةنا

(١) تاريخ كنيسة المشرق - ترجمته .

(٢) ابو الفرج كنية غلبت على ابن العبري ، وكان السريان
يستعملون الكنى امثال « ابو غالب » و « ابو منصور » وغير
ذلك ، ولا تدل على شيء آخر كما توهم المستشرقون .

بمدينة سيس^(١) وحضرها هيقوم « حاتم » ملك كيليكية
واولاده واخوته واعيان دولته ورؤساء اساقفة الارمن
وعلمائهم وشعب غفير منهم ، هذا بالاضافة الى الجماهير
الغفيرة من شعبنا السرياني واساقفتنا ومطارين معظم ابرشياتنا
وكان ذلك الحدث التاريخي الهام يوم الاحد في ١٩ كانون
الثاني سنة ١٢٦٤ . وبعد نهاية حفلة الرسامة الرائعة ارتقى
المفريان الجديد منبر الخطابة ، والقي خطبة بليغة نفيسة
عن رئاسة الكهنوت ، واتخذ آية الذهبية من قول المرتل
« انت يا رب جبلتني ووضعت علي يدك » مز ١٣٨ :

« (٢) » .

واول عمل جليل قام به المفريان العلامة تنصيبه ،
سعيه المشكور في توحيد سلطنة البطريك مار اغناطيوس
يشوع . فقد سافر هذا البطريك صحبة المفريان برهط من
الاساقفة ، الى مدينة (ارزنجان) من حواضر الارمن
للمثول بين يدي هولاء المعروف بملك الملوك ، وقد سبق
المفريان بطريكه الى ملك الملوك ، وكان يستعين بطبه في
السفر فيساعد الولاة والعمال حتى بلغ هولاء نفسه ،
فدخل بلاطه موفور الكرامة ، ومثل بين يديه ومهد

(١) كانت تسمى كنيسة والدة الاله .

(٢) تاريخ كنيسة المشرق ، وترجمته .

الطريق للبطريك القادم ، فأصدر ملك الملوك اوامر ملكية سامية لمساعدته حتى اذا ما وصل ادخله المفريان حالاً ، فسر به الملك وحادثه طويلاً واكرمه ومنحه براءة سامية ، اردفها بكتاب آخر اثنى فيه على المفريان وأطرى محامده ومنحه براءة ملكية ايضاً (١) .

٥ - قدومه الى المشرق

بعد ان انهى المفريان الجديد عمله بتأييد سلطة بطريكه ، جاءت البشائر بقدومه الى بلاد المشرق ، فاستبشرت به فرحاً هذه الكنيسة العريقة بالامجاد وكانت الموصل اولى مدن العراق التي تشرفت بطلعته القدسية ، فلما دخلها استقبلته بابهة رائعة باعيانها واشراف دولتها ومساكنها من المسلمين والمسيحيين على اختلاف طبقاتهم ، وكانت تنشد امامه الاناشيد الدينية المعروفة (٢) .

ان حظ كنيسة المشرق كان سعيداً جداً بهذا المفريان العلامة ، لانها كانت منذ عهد طويل متعطشة الى عالم جليل مثله . ويخبرنا كاتب سيرته المنظومة ، ان كنيسة المشرق لم تر لاهوتياً ومفسراً مثله من عهد مويربوس موسى بر كيفا

(١) المصدر نفسه .

(٢) قاريغ كنيسة المشرق ، ترجمته .

مطران الموصل الفيلسوف واللاهوتي الكبير (٩٠٣) وقال :
ان الله الذي اثار به كنيسة المغرب لم يرد ان يحرم كنيسة
المشرق انوار تعاليمه الساطعة ، ولم تكن فائدته خاصة
بكنيسته فقط بل كانت عامة للجميع (١) .

وكانت هناك بغضاء شديدة بين الارثوذكس والنساطرة
في بلاد العراق منذ القرن السادس ، فأزالتها هذا المفران
القديس بروحه الطيبة ، وسياسته الحكيمة وادارته
الرشيدة (٢) .

وأول عمل قام به المفران الجديد في المشرق صعوده
الى دير مار متى واحتفال رهبان الدير ورئيسه بتنصيبه
شرعياً لرئاسة ابرشيات المشرق حسب التقاليد القديمة المرعية
في تنصيب المفارنة ، وقد كانت حفلة تنصيبه في الدير بالغة
حد الابهة والروعة ، فلم يطالبه رئيس الدير ورهبانه بما
كانوا يطالبون أسلافه المفارنة منذ عهد بعيد (٣) .

وبعد حفلة التنصيب الشرعية في دير مار متى عاد الى
الموصل ليهتم بامور الرعية فيها ، فوجدها بحالة يرثى لها

(١) سيرته المنظومة .

(٢) سيرته المنظومة .

(٣) تاريخ كنيسة المشرق ، ترجمته .

من جراء الظروف القاسية التي لاقتها منذ اربع سنوات
خلت فسببت نزوح معظم أسرها الى مدينة اربيل ،
وتوطنهم فيها ، وبنى لهم هناك كنيسة فخمة رغماً عن حالتهم
المالية الضيقة (١) وكان لقدم هذا الراعي الصالح تأثير
عظيم بتحسين حالة شعبه ، فقد طلب الى ذوي الامر ان
يخففوا عنهم ، فنجح في ذلك ، ونال حظوة سامية عند
الجميع (٢) . ويقول كاتب سيرته المنظومة « انه رفع رأسنا
بمد ان كنا ذليلين ، ومنح المشرق الحكمة والعلم بعد ان
كانت كنيسته صفراً من كل ذلك ، وصار تلامذته ملائمة
وعلماء في بلادنا ونشر الايمان بوعظه في مدننا وقرانا (٣) .

كان في كنيسة المشرق ابان مجدها الاول اثنتا عشرة
ابرشية ، تخضع بادارتها الروحية العليا لمفريان تكريت ،
وقد رتب هذه الابشيات في القرن السادس المفريان ماروثا
في جمعه الاقليمي الذي جمعه في دير مار متى ، وحضره
اماقفة المشرق الارثوذكسيون كلهم . ثم اضيفت اليها ثلاث
ابرشيات اخرى جديدة في عهد ماروثا نفسه ، وذلك في
بلاد فارس ، على اثر نزوح جماعات كثيرة من الروهاويين

(١) ترجمته العربية ، بقلم شيخو .

(٢) فيها ايضاً .

(٣) سيرته المنظومة السريانية .

الارثوذكس الى مقاطعتي (مسجستان) و (خورسان)
فبلغت ابرشيات المشرق الخاضعة للمفريان خمس عشرة ابرشية ،
ما عدا ابرشيتي مار متي و نينوى ، بما فيها الموصل الخاضعتين
مباشرة لمطران دير مار متي نفسه (١) .

ظلت هذه الابشيات بين جزر ومد حتى القرن الثالث
عشر حيث ارتقى غريغوريوس ابن العبري كرسي مفرانية
المشرق ، فوجد بين يديه عشر ابرشيات فقط ، ولكنها
كانت عامرة بكنائسها واماقتها وكهنتها وشعبها ، وقد
فضلها المفريان ابن العبري نفسه على ابرشيات المغرب الخاضعة
للبطريك وقال : « اني اتمتع براحة كبرى في ابرشية المشرق ،
ولا يعوزني شيء لكي اهرب منها وانتقل الى غيرها ، كما
كان يفعل المرحومون اسلافي ، وان كان زماناً صعباً ،
غير ان الراحة التي لاقتني في المشرق لم تلاق غيري » (٢) .
اما هذه الابشيات العشر فهي : ١ - مار متي وبيت
صيدا (٣)

(١) تاريخ كنيسة المشرق ترجمة المفريان ماروثا .

(٢) = = = = ابن العبري .

(٣) ابرشية مار متي ، هي اقدم الابشيات ، واول مطارنتها
الشهيد برسهدا سنة ٤٨٠ م ولا زالت الى اليوم . اما بيت
صيدا فكانت بقرب (اربيل) ادجت مع هذه الابشية في
القرون المتأخرة .

- ٢ - بغداد (١) ١ - بيت رمان (٢) ٢ - بيت نوهدرا (٣)
 ٣ - اذربيجان (٤) ٤ - تبريز (٥) ٥ - سنجان (٦) ٦ -
 نصيبين (٧) ٧ - الجزيرة العربية (٨) ٨ - جزيرة ابن
 عمر (٩) ٩ - اربيل (١٠) ١٠ .

(١) ابرشية بغداد اول اساقفتها في القرن التاسع و آخرهم سنة
 ١٢٦٥ م .

(٢) وهي بارمان على الفرات الاصغر ، اول اساقفتها مار زينا
 سنة ٦٢٠ و آخرهم سنة ١٢٢٨ .

(٣) وكانت تشمل قضاء دهوك ، انشئت سنة ٤٢٤ م و آخر
 عهدنا بها سنة ١٢٨٤ .

(٤) قاعدتها تبريز ، وذكر التاريخ بعض اساقفتها .

(٥) تبريز ، عزلت بابرشية خاصة قبل القرن الثالث عشر بقايل .

(٦) سنجان ، بدأت اسقفيتها في القرن الثالث و آخرهم في القرن
 الرابع عشر .

(٧) نصيبين ، ألحقت بالمفريانية في القرون الوسطى ثم ضمت الى
 البطريركية ثانية .

(٨) الجزيرة العربية ، وكانت تشمل ابرشية العرب في ديار ربيعة ،
 بدأت في منصرم القرن السادس .

(٩) جزيرة ابن عمر ، قديمة ابتدأت سنة ١٢٠ م وانقرضت
 سنة ١٩٢٧ .

٦ - رحلاته الرعوية

علمنا ان المفريان ابن العبري ، كان يدير مرعيثا واسعة تتضمن عشر أبرشيات كبرى ، وكان لا بد له من تهجد هذه الابرشيات بعين يقظي لما كان في روجه من الهمة والنشاط ، لذلك قضى ايام رئاسته متنقلاً من بلد الى بلد يعظ ويرشد ويشجع ، ويبني الكنائس والاديرة ، ويؤيد المؤمنين في ايام كانت أشد ظلاماً من جميع الايام السالفة ، ومع ذلك كان ينيها بعلمه وفضله وفضيلته وحظوته العظمى عند الملوك والامراء والعلماء والرؤساء ، وأهم رحلاته البعيدة هي :

١ - الرحلة الاولى الى بغداد : بعد ان نظّم الامور في ربوع (نينوى) وابرشيات الموصل ومار متي ، ونصب رسمياً في الدير التاريخي برضى الجميع رحل الى بغداد سنة ١٢٦٥ لزيارة هذه الابرشية الهامة مركز الخلافة وموطن

(١٠) ابرشية اربيل ، هي قديمة جداً ، ثم جددت في القرن الثالث عشر .

(١١) ترجمة ابن العبري السريانية ، للدولباني .
« نلخصت اخبار هذه الابرشيات من « اللمعة » في تاريخ الامة السريانية في العراق ، للمثلث الرحمت مار اغناطيوس افرام الاول » .

العلوم والآداب ، وهي لا زالت متأثرة بجراحها المميّنة بعد
الاهوال المروعة التي نزلت بها يوم اجتاحتها الملوك بنجيلهم
ورحلهم .

فرحت بغداد بقدوم المفريان العلامة ، فابتهجت الكنيسة
الارثوذكسية ورفعت رأسها لتباهي الملائكة بهذا الرئيس الجليل ،
وخرجت تستقبله بأبهة وعظمة منقطعتي النظر كما يليق بمثله
من الرجال الكبار ، وكان يتقدم المستقبلين الارخدياقون ،
وطبقة سالحة من اشرف السريان البغداديين وبينهم ايضاً
وقد معتبر من اشرف النساطرة من الجاثليق مار مكينا
يتقدمه ابن اخت الجاثليق وابن اخيه .

دخل هذا الموكب الرائع بالمفريان الضيف الى مكينا
الجاثليق فاستقبله استقبالاً حاراً واعجب بمواهبه وشخصيته
الفذة ، ثم ودّعه وجاء الى الكنيسة السريانية الكائنة في
باب موحول فاستقبله هناك جميع افراد شعبه بشوق
واكبار ، وأرسل الجاثليق في هذه الاثناء وفده المستقبل
ثانية الى الكنيسة يحمل للمفريان هديته التقليدية ، وهي
حلة حريرية بيضاء فالبسوها المفريان ، فأرسل المفريان ايضاً
بدوره هدايا سنية للجاثليق .

وصل المفريان بغداد في ايام الفصح ، فترأس الحفلات
السريانية الرائعة في الكنيسة ، واضفى عليها جلالاً وابهة

جديدين من شخصيته العظيمة وهيبته الرائعة المنقطعة النظير ،
فتقاطرت جموع غفيرة لمشاهدة هذه الحفلات الدينية المؤثرة ،
وبينهم كثيرون من النساطرة الذين لم ترق لهم هذه الامور
كلها خيفة من تغلب المفريان على جاثليقهم ، ولا سيما بعد
ان شاهدوا ما كان عليه المفريان من الخصال العالية ،
والميزات الفريدة ، واخذ أفراد شعبه يعطونه حقه من
المدح والاطراء اللائق بمنزلة العلمة ، ورفعة الدينية .

احتفل المفريان في خميس الفصح بتقديس الميرون في
بغداد ، وحدثت اعجوبة باهرة على يده يذكرها التاريخ
وهذا ما رفع منزلته باعين شعبه ، وعند الغرباء الذين
شاهدوا تلك الاعجوبة بام عينهم فنشروها في المجالس
والاندية .

في مدة قليلة حاز المفريان في اوساط بغداد ما لم يحزه
غيره من الرؤساء السابقين ، حتى توجس النساطرة خيفة ،
فشرع الجاثليق يفكر بطرده من بغداد ، غير ان الجاثليق
توفي في هذه الايام نفسها (١٢٦٥) قبل ان يستطيع ايداء
المفريان .

اقام المفريان في بغداد الصيف كله يتمتع بمنزلة رفيعة
جداً عند الجميع ، فرسم هناك شمامسة كثيرين ، واساقفة
سندكرهم فيما يأتي ، ثم عاد في الخريف الى نواحي نينوى .

ب - رحلته الاولى الى المغرب : في سنة ١٢٦٨ م
رحل المفران الى سوريا لزيارة اهله بعد ان رتب شؤون
مرعيته الواسعة ، فالتقى في الطريق بالبطريك (١) ذاهباً
لتقديم الشكاية على الطبيب القسيس شمعون الذي اغتصب دير
مار برصوم ، ولم يرد المفران البحث في هذا الأمر مع
البطريك ، بل لعله لم يرد مقابله لان المفران كان يرى
ان لا تقدم شكاية كنيسة الى الولاة المغول خوفاً من
احتقارهم رجال الكنيسة ، وكان يريد حل المشاكل الكنسية
بطريقة سلمية دون اللجوء الى الولاة والحكام ، اما
البطريك فكان يأبى ذلك ، ويريد رفع شكاته الى ولاة
المغول ، ولما رأى البطريك ان المفران لا يريد مقابله
أرسل ثلاثة اساقفة لاستعطافه ، فرضي المفران وقابله ،
وزار البطريك حيث كان نازلاً ، وبعد زيارة قصيرة تركه
وواصل سيره الى كيليكية .

وصل المفران الى مدينة (ميس) في كيليكية ،
فاصابه مرض خطير كاد يودي بحياته لولا رحمة الله ،
فتلقى من البطريك رسالة رقيقة يشكر الله على شفائه ولما
أبل المفران زار البطريك في دير مار برصوم ، وفي هذه
الثناء جاء القس شمعون الطبيب ، ويده امر سام ، فابطل

(١) هو البطريك يشوع الذي رسمه مفراناً .

به الامر الذي جاء به البطريرك عند زيارته للملك ، فصح ما قاله المفريان بهذا الشأن ، وترك المفريان دير مار برصوم وعاد الى المشرق ، فحط رحاله في تبريز فمراغة ، وكان يشتغل بتفسير كتاب « اقليدس » ثم عاد الى نينوى .

ج - رحلته الثانية الى مراغة : في صيف سنة ١٢٧٢ م رحل المفريان ثانية الى مراغة ، فبنى داراً اسقفية ومصلى كبيراً في بيعتها الجديدة ، ومكث فيها سنة كاملة يشتغل بتفسير كتاب « المجسطي » لبطليموس ، وبعد عيد القيامة من سنة ١٢٧٣ زاره القس يعقوب شقيق القسيس شمعون الطيب وطلب اليه ان يسافر معه الى دير مار برصوم ليصالح هذه الاسرة مع البطريرك .

د - رحلته الثانية الى المغرب : في سنة ١٢٧٣ عينها رحل المفريان الى دير مار برصوم ملبياً طلب القس شمعون ، ومنها الى كيليكية ، فصالح اسرة القس شمعون الطيب مع البطريرك واصطحب معه القسيس شمعون الطيب وشقيقه القس يعقوب الآنف الذكر والشماس غرود ابن اخيهما ، وعربوناً لهذا الصلح رسمه البطريرك قسيساً ثم مطراناً للملطية وعاد المفريان الى ملطية ثم الى نينوى محموداً سعيه .

هـ - رحلته الثانية الى بغداد : في سنة ١٢٧٧ رحل المفريان ثانية الى بغداد للاشراف فيها على تجديد الكنيسة

التي كانت تبنى بهمة الرئيس (صفى الدولة سليمان بن جملا)
بقرب دار الخليفة ، وترأس ايضاً حفلات عيد القيامة في
بغداد ، ورسم شمس الدولة بن توما شامساً ومعه كثيرين من
ابناء اشراف الملة و قدس ميرونا في كنيسة مار توما
الكاتدرائية في بغداد ، ورسم شمامسة ايضاً في كنيسة
العدراء فيها .

ونال المفريان إكراماً لاثقاً بمقامه الكبير من الجاثليق
النسطوري مار دنحا فقبل وصوله الى بغداد اخبر رئيس
الشمامسة بذلك ، فاخبر الارخدياقون بدوره الجاثليق ،
فارسل من قبله اساقفة و اشرافاً من ابناء طائفته ، فذهبوا
مع ابناء الكنيسة السريانية و اشرافها لاستقبال المفريان ،
ولما زار الجاثليق في دار الجثلة التفت الجاثليق الى الجماهير
الغفيرة من السريان والنساطرة وأطرى المفريان وقال :
« طوبى للشعب الذي له مثل هذا » .

ومكث هذا المفريان في بغداد موضعاً لاكرام
الجميع الصيف كله فترك بغداد قادماً الى تكريت .

و - المفريان في تكريت : في خريف هذه السنة
(١٢٧٨) غادر المفريان بغداد ، ودخل تكريت بعد ان لم
يدخلها مفريان منذ ست سنوات حيث تركها لآخر مرة
المفريان اغناطيوس الذي صار بطريكاً ، ففرح به اشراف

تكرت واعيانها وشعبها فرحاً لا يوصف ، وزار كنائسها
الاثرية الفخمة ، ومكث فيها شهرين يتعهد شؤون الكنيسة
فيها ثم عاد الى نينوى .

ز - رحلاته الثلاث الاخيرة : في سنة ١٢٧٩ م
رحل المفريان الى (مراغة) ، ليتعهد شؤون كنائسها
الصغيرة ، وبعد مكوثه فيها مدة غادرها ليذهب الى
(تبريز) في ايام الربيع لانتهاء بناء بيعتها الجديدة ، فبلغه
نبأ وفاة الملك (اباقا) المغولي وجلس ابنه على عرش
المملكة ، فسافر اليه ليهنئه : فأدخله وزراء المملكة ، وبعد
ان قدم له آيات الدعاء ، نال من لدنه براءة سامية تؤيد
رئاسته على اذربيجان وآثور وما بين النهرين ، ثم عاد الى
تبريز فأكمل بناء الكنيسة - كما منعلم - وعاد الى نينوى
في ايام الصوم الكبير سنة ١٢٨٤ م .

ح - رحلته الاخيرة الى مراغة : في سنة ١٢٨٦ ،
وهي السنة الستون لولادته كان يتخيل الموت يقترب اليه
مسرعاً ، استناداً الى تكهنات علمية ابرزها امام اخيه
الصفى ، وكان يتشام كثيرأ من هذه السنة ، وكان يقول
بيته المشهور : « يا شبكة المسالم في سنة ١٥٣٧ صادني
شركك واظن اني في سنة ١٥٩٧ لن اكون موجوداً »

فيك ، (١) .

وكانت في هذه السنة قد كثرت الغوائل والمصائب في
دير نينوى والمشرق وكثر اللصوص في المدن والقرى ،
وخشي برصوم الصفي اخو المفريان ان يسطو عليهم لصوص
فتمسح نبوة المفريان هذه ، لذلك حمل المفريان على السفر
الى اذربيجان ، وكان المفريان يابى الرحيل ، غير انه
اطاع رغبة اخيه وشد الرحال الى تبريز اولاً ، وهناك
طلب اليه فضلاء المسلمين ، ان يترجم تاريخ الدول الذي
ألفه بالسريانية ، ففعل واتى عليه بشهر ، فخرج كتابه
« مختصر الدول » بحلته القشبية ، ولغته العربية الفصحى ،
ثم غادرها الى مراغة .

وكانت هذه الرحلة خاتمة لحياة هذا الرجل العظيم ،
ففي مدينة مراغة ، انهي المفريان العلامة سعيه وذهب الى
ربه كما سنعلم في ما بعد .

٧ - اساقفته

مذ وطأت قدما مفرياتنا الهمام ارض المشرق ، قرر
ملء جميع الشواغر بالاساقفة والكهنة والشمامسة ، فرسم
لابرشياته الواسعة عدداً لا يحصى من الكهنة والشمامسة

(١) السنقان يونانيتان . تبدأ السنة اليونانية منذ عام (٣١١) ق.م

بجميع درجاتهم^(١) ثم عاد الى هذه الابرشيات فلأ كراميتها
بالاساقفة ، وكان ينتخبهم من افضل الرهبان واقدسهم
واوسعهم علماً وابعدهم صيتاً في المقدره والمواهب الروحية^(٢)
وقد جرت بعض الرهبان غير الاكفاء ان ينالوا الرسامة
الاسقفية منه فأبى كل الاء واحادهم على اعقابهم خائبين^(٣)
وقد رسم اثني عشر اسقفاً وهم :

١ - اثناسيوس بهنام ويعرف بابن سمانة وكان من
رهبان دير مار متى رسمه اسقفاً لابرشية بنوهدرا ، وذلك
في كنيسة بادانيال العليا^(٤) في يوم الاربعاء نصف الصوم
سنة ١٥٧٦ يونانية (١٢٦٥ م) وسماه اثناسيوس وكان
رجلاً فاضلاً بالعلم والتقوى^(٥) وفي سنة ١٥٩٠ يونانية
(١٢٧٩ م) توفي في برطلة ودفن في دير مار متى ،
وكان فاضلاً .

(١) سيرة المفران المنظومة بقلم جبرائيل البرطلي .

(٢) اللؤلؤ المنشور ص ٤١٢ .

(٣) تاريخ كنيسة المشرق ، ترجمته .

(٤) تاريخ كنيسة المشرق .

(٥) سيرته المنظومة .

٢ - طيمثاوس يشوع : وكان من رهبان دير
الزعفران (١) رسمه في بغداد لهذه الابرشية نفسها ، في
زيارته الاولى لها سنة ١٥٧٦ يونانية (١٢٦٥) (٢) .

٣ - اياونيس دنحا بن حمزة : وكان من دير مار متى ،
رسمه المفران في بغداد في زيارته الاولى سنة ١٢٦٥ نفسها ،
ورسمه لاذريجان وكاتب سيرته المنظومة يقول ان اسمه
قبل تسقفه كان قرياقس ثم سمي دنحا عند رسامته (٣)
وبعد ان نال الاسقفية شد الرحال الى ابرشيته ولما وصل
الى قرية باصيدا القريبة من اربيل وافاه الاجل فدفن في
بيعتها الجديدة (٤) .

٤ - يوحنا وهب : كان من رهبان دير مار متى ،
رسمه سنة ١٥٧٧ يونانية (١٢٦٦ م) لابرشية جزيرة
ابن عمر .

٥ - سويريوس يشوع : وكان يسمى « الربان طيطا (٥) »
وهو من رهبان دير مار متى ، رسمه في السنة نفسها

(١) تاريخ كنيسة المشرق .

(٢) فيه ايضاً . (٣) سيرته المنظومة .

(٤) تاريخ كنيسة المشرق .

(٥) سيرته المنظومة .

لابرشية اذربيجان ، غير ان مدته لم تطال فتوفى في اذربيجان (١) وكان المفريان يحبه كثيراً ليزات خصه الله بها ، فبكاه كثيراً وورثه بايات سريرية توضح ما كان عاينه هذا الاسقف من الفضل والفضيلة وطيب المعشرة (٢) وكانت وفاته سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٧ م) .

٦ - ديونيسيوس يوسف : وكان ابن اخت الاسقف سويريوس راعي تبريز الآنف الذكر ، وهو من رهبان دير مار متى ، رسمه المفريان في دير مار متى نفسه في ايام الصوم الكبير سنة ١٢٧٧ م وهي سنة وفاة خاله ومنحه ابرشية تبريز المترملة بفقد خاله المفضل (٣) .

٧ - ميخائيل مخلص : وهو من رهبان دير مار متى ، رسمه المفريان لابرشية بارمان وهي البوازيج .

٨ - باسيليوس ابراهيم : وكان من رهبان دير مار متى رسمه المفريان في نفس السنة لابرشية باصيدا القريبة من اربيل .

٩ - اياونيس موسى : رسمه لابرشية باعربايا .

(١) تاريخ كنيسة المشرق .

(٢) ديوانه ص ٤٠ طبعة القدس .

(٣) تاريخ كنيسة المشرق وسيرته المنظومة .

١٠ - يوحنا دنحا : رسمه لابرشية دير مار سرجيس
في الجبل العطشان (١) ولزاويشا .

١١ - أياونيس ايوب الملقب بالملفان : وكان من باخديدا
« قره قوش » رسمه المفريان في ايام الصوم الكبير سنة
١٥٩٦ (١٢٨٥ م) لابرشية بنوهديرا ، وكان شاعراً
مجيّداً يمدحه كثيراً كاتب سيرة المفريان المنظومة (٢) .

١٢ - ديوسقوروس جبرائيل البرطلي : وكان من
رهبان دير مار متى ، تعلم لابن العبري نفسه ، واخذ عنه
الشعر ، وكان مهندساً معمارياً حاذقاً . قام بهندسة دير مار
يوحنا ابن النجارين في قريته بايعاز استاذه المفريان . رقا
المفريان الى رتبة الاسقفية مكافأة لفضيلته وعلمه وتقواه ،
لابرشية جزيرة ابن عمر وكان شاعراً ، لدينا من نظمه
سيرة استاذه المفريان وهي ام المصدر لمن يريد كتابة
سيرته وقد اتخذناها مصدراً اولياً مع ما كتبه عنه اخوه
برصوم الصفي في تذييل تاريخ كنيسة المشرق (٣) .

(١) الجبل العطشان ويسمى اليوم « الجبل العطشانة » غربي
الموصل بقرب اطلال (بلد) وتسمى اليوم « اسكي الموصل »
(٢) سيرته المنظومة .

(٣) اخذنا سير هؤلاء الاساقفة من مصدرين وهما : تاريخ كنيسة
المشرق وسيرة ابن العبري المنظومة تأليف ديوسقوروس
جبرائيل البرطلي .

٨ - علاقته بالبطريركية

كانت علاقته بالبطريركية مثل كل المفارنة الذين سبقوه .
ولكن البطريركية كانت ترعى جانبه اكثر من الجميع لما
كان له من المنزلة العليا في الكنيسة عامة ، فكان غالباً
يؤدي لها النصيح والارشاد في تسيير دفة الامور ، وكانت
افكاره في هذا المضمار صائبة كبد الحقيقة ، فقد علمنا في
رحلته الاولى الى سورية سنة ١٢٦٨ حيث التقى بالبطريرك
اغناطيوس يشوع وهو في طريقه الى الدار الملكية لتحصيل
امر في ارجاع دير مار برصوم بعد ان اغتصبه القس
شمعون الطيب ، فنصحته ان يعود لسكي يحل هذا المشكل
بامر كنسي دون اطلاع المغول على خصومات الكنيسة ، غير
ان البطريرك لم يعد فكان ما توقعه المفريان .

ولما توفي البطريرك اغناطيوس يشوع واقام بعض
الاساقفة فيلكسينوس غرود بطريركاً بتأثير القس يعقوب
سنة ١٢٨٣ كادت الكنيسة ان تتخلى وراء هذا البطريرك
الجديد ، غير انه اراد الحصول على موافقة المفريان على
رؤاسته ، فارسل اليه سعاة يحملون رسائل خضوع وتواضع
ليرضى . الا ان المفريان رفضه كل الرفض لكونه تفترك
بدون اجماع الاساقفة .

وبعد ان رفض المفريان الاعتراف بالبطريرك الجديد .

جاء اليه القس شمعون الطيب وهو عم البطريرك غرود ،
وحاول اقناعه بقبول ابن اخيه بطريركاً شرعياً ، فرفضه
رفضاً باتاً وعاد الطيب شمعون بدون طائل .

ثم زاره تلميذه تاج الدول ابن القس شمعون الطيب ،
وكان يحبه كثيراً وطلب اليه الاعتراف بالبطريرك غرود ،
وهنا لم يرد المفريان ان يعيد تلميذه جانباً بل نزل عند
رغبته وكتب رسالة طسوية يعترف بالبطريرك فيلكسينوس
غرود ، غير انه يؤنبه فيها اشد التأنيب على تسرعه بالجلوس
على الكرسي البطريركي دون اجماع الاساقفة والمفريان ،
ومما جاء في الرسالة :

« الملك تظنني مشتاقاً الى المنصب البطريركي ولهذا
السبب اناصبك ؟ فان الله فاحص القلوب يعرف انه ليس
عضو من اعضائي يشتاق الى البطريركية وذلك لاسباب
كثيرة ، اولاً : مر عليّ زهاء اربعين سنة منذ اؤتمنت
على رئاسة الكهنوت ، قضيت عشرين منها في المغرب ،
وعشرين في المشرق ، وشبعت من الرئاسة ، فاني بحاجة
الآن الي الهدوء والسكينة لاقضي بقية حياتي بسلام
وتقوى فانال الآخرة الصالحة المعدة لرجال السلام . ثانياً :
اني مرتاح الحمد لله في مرعيث المشرق ولا ينقضي شيء
لاتركها واتحول الي غيرها . كما كان يفعل المرحومون

أسلافي ، ولئن كان زماناً قاسياً فان الراحة التي لاقتني
هنا لم تلاق غيري . ثالثاً : حتى وان كان لي هوي
الرئاسة كبقية الناس ، لكن مراعيث المغرب منذ مدة طويلة
قد ضعفت . . . وهذه هي اهم اسباب غضبتي ولا سيما
انكم قتم بامر ضد الشريعة الابوية ، فنتم الرئاسة دون
موافقة المغاربة والمشاركة ، والآن لنكل الامر الى الله
الذي لا يحابي .

٩ - اعماله العمرانية في كنيسة المشرق

كان مفراننا الهمام نشاطاً متواصلاً وعملاً مستمراً ،
لم يكن هناك وقت نام فيه عن خدمة الكنيسة او التفكير
بنواقصها ومصالحها ، ولم يكن محباً للمال بل كان يستخدمه
لخير رعيته . حدثتنا اخوه الصفي عنه قال : « اني لم اره
اربعين سنة يمسك درهماً او فلساً بيده ولما كان يقدم له
المؤمنون شيئاً للبركة كانوا يلحون ان يأخذه بيده فيأبى
فيضعونه امامه ، فيبقى هناك حتى يأتي احد تلاميذه فيأخذه ،
وكان البعض قد اعتادوا ان يضعوا الدراهم تحت فراشه
عند تقيل يديه ولذلك عند انتقاله من محل الى آخر كانوا
يجدون تحت الفراش رباطات كثيرة فيها دراهم ، ولما كان
يتجمع لديه شيء منها كان يفكر في طريقة مفيدة ينفقها .
وبهذه الطريقة قام باعمال عمرانية كثيرة افادت كنيسة فوائد
جلى ، وأهم ذلك :

١ - كنيسة مراغة : لم يكن لنا في مراغة الا كنيسة واحدة فقط ، فبنى المفريان الهمام كنيسة اخرى واقام بجانبها غرفاً كثيرة صالحة للسكن وانفق عليها من جيبه الخاص وانتخب لها محلاً جميلاً مناسباً (١) .

٢ - كنيسة تبريز : سكّات كنيستنا في مدينة تبريز صغيرة ، فاهتم ببناء هيكل كبير فيها ، وكبّرّها واقام لها ايواناً حجرياً ضخماً ، وبنى غرفاً للضيوف فوق المصلّى الكبير الذي بناه ، وعمّر سرداباً واسعاً تحت حوش الكنيسة للدفن الموتى ، وبنى كذلك رواقاً صيفياً وبيتاً شتوياً للكنيسة (٢) وكان اخوه برصوم الصفي يهتم بهذه الاعمال .

٣ - دير مار يوحنا في برطلة : ابتداءً في بناء هذا الدير سنة ١٢٨٤ م ، بعد ان خربت الكنيسة القديمة المبنية على اسم هذا الشهيد في قرية « بيت اكوري » ولم يستطع المؤمنون زيارة ضريح الشهيد خوفاً من اللصوص ، واستمر في بناء الكنيسة الجديدة والدير في برطلة الى سنة ١٢٨٥ م وقد زين المفريان هذه الكنيسة بصورة بدیعة استخدم فيها مصوراً رومياً حاذقاً وبذل في سبيل هذا الدير اتعاباً كثيرة يحدثنا عنها كاتب سيرته المنظومة وهو تلميذه

(١) سيرته المنظومة .

(٢) ترجمته بقلم اخيه الصفي .

جبرائيل البرطلي ، واخوه الصفي في تدويل تاريخ كنيسة
المشرق .

٤ - كنيسة العذراء في بغداد : وبهيمته جُددت
كنيسة العذراء في بغداد وهي الكائنة يومئذ بقرب دار
الخليفة سنة ١٢٧٤ م وقد اهتم بها ايضاً الوزير صفي الدولة
سليمان بن جملا احد اعيان السريان في بغداد .

هذه اهم اعماله العمرانية في كنيسة المشرق ، ولولا
ضيق الزمان ومصائبه الكثيرة المتراكمة ، لرأينا له اعمالاً
جليلة اخرى في حقل البناء والعمران .

١٠ - وفاته

كان المفريان يتوقع الموت في سنة ١٢٨٦ وقد اشار
الى ذلك في بيتين من اشعاره كما علمنا ، وفعلاً كانت هذه
السنة مشؤومة جداً بحيث تكررت الغارات والغزوات في
ديار الموصل ، وكثر اللصوص وقطاع الطرق هنا وهناك .
واختل توازن الدولة ، وفقد الامن ، واصبح كل يخشى
على حياته ، فخاف الصفي برصوم ان تتحقق هذه الوساوس
الجائلة في ضمير اخيه المفريان ، فاقنعه بضرورة السفر الى
اذريجان ، بينما كان هو يمانع اشد الممانعة ، بغية البقاء
بين قوم احبهم واجبوه ليلقى ربه بين ظهرانيهم ، ولكنه
استسلم اخيراً لمشيئة اخيه الصفي ، ورحل الى اذريجان ،

وحطاً رحاله في مدينة مراغة ، فطلب اليه فضلاء المسلمين ان يعرب تاريخه السرياني المدني لفائدتهم ، ففعل واتى عليه بزهاء شهر واحد فالبسه حلة قشبية من العربية .

في ليلة السبت ٢٨ من تموز سنة ١٢٨٦ شعر بمحمى خفيفة تتغلغل بين مفاصله ، حتى زاد عليه لحميها في اواخر الليل ، وفي صباح الاحد تألب حوله اطباء البلدة ، و اشاروا اليه بشرب الدواء ، فأبى ، وقال : « قد اعى الداء على الدواء » والساعة الرهية قد دنت .

قبل ان تغيب شمس هذا النهار ، كانت شمس حياة هذا الفيلسوف الكبير والاب اليار القديس تتسارع نحو المغيب . . فشعر الرجل العظيم بدنو الساعة وطلب قلماً ليكتب وصيته الاخيرة ، غير ان انامله القدسية - التي قبضت على القلم وخطت به الحكمة والفلسفة من بشرية وروحية - لم تستطع كتابة كلمة واحدة ، فأعيت عن مسك القلم . وشعر الحاضرون ومن بينهم اخوه الصفي بالخطب الفادح ينجم رويداً رويداً فوق رؤوسهم ، فاطلقوا العنان لدموعهم ، بينما كان المفريان المفارق يجس نبضه بين الفينة والفينة ، ويقول : « قد اضحيت قوتي ، ظلمتني يا اخي لانك لم تتركني ارقد بسلام ، فيودعني الاماqqفة والرهبان والقسوس والشمامسة الذين رأستهم اثنتين وعشرين سنة ، هربت من الموت ، ولكن ذلك لم يفد شيئاً ، فتشجع

الآن ولا تبك ولا تحزن أكثر من الواجب ، فليس الموت جديداً في العالم .

وهكذا كان يشجع الجميع بابتسامة ملكية غير وجل ولا هيب من الموت الرهيب ، ولكن كان لا بد من كتابة وصيته الأخيرة . . فدعى احد تلاميذه وقال : « تعال يا شمسي العزيز ، يا سعيد الطبيب ، وخذ القلم واكتب . » وشرع يقول والتلميذ المفجوع يكتب : « الانسان مثيل العشب ايامه ، كزهر الحقل كذلك زهر -
مر ١٠٣ : ١٥ »

وهكذا حتى انهى وصيته هذه ، ثم ادى الاعتراف القانوني ، واخرج سجلين يحويان صورة ايمانه ، احدهما للكرسي البطريركي ، والآخر للكرسي المفياني ، وأشار الى تدبير قلايته ، وأسلم كل ذلك بيد اخيه الصفي . ثم نظر الى تلاميذه ، وعيناه البراققتان تمانت عن هدوء ومسكينة ، وقال لهم : « اوصيكم ان يحب بعضكم بعضاً ، فالحبة يا اولادي رباط السلام ، سأغادركم الى دار الخلود واحظى برؤية الرب واطلب لأجلكم . »

كان المفيان المفارق ينطق بهذه الكلمات ونفسه تتوق الى ملاقاته الرب ، غير ان التلاميذ المرزوثين مزقوا ثيابهم واطلقوا العنان لدموعهم ، وكانت نفوسهم تذوب مع تلك

الدموع على خطب جلد كان يهبط عليهم رويداً رويداً ،
اما معلمهم القديس فكان يتسم ويشجعهم ويمنحهم الصبر
حتى دنت اللحظة الرهيبة حيث انطلقاً مصباحه الوضاء ،
فخيم هناك الظلام الرهيب وكان ذلك في ليلة الثلاثاء الواقعة
في ٣٠ تموز سنة ١٢٨٦ م .

ريعت مراغة بانخطب الجلد ، وبهكته جميع الملل
والنحل في تلك المدينة فكان وقع الصاعقة على جميع
القلوب ، فتألمت جموع غفيرة من اولاده الارثوذكسيين
المفجوعين مع جموع اخرى من الروم والارمن والنساطرة
وكان اربعة قسوس من الارثوذكسيين يرتلون المزامير حول
جثمانه الطاهر .

احتاطت تلك الجموع الغفيرة المفريان الراقد لقنال بركته
الاخيرة ، يتقدمهم الجاثليق (يابلاها) ، وبعد ان صلى
عليه الجميع ، احتفل بدفنه احتفالاً مهيباً ، ووضع في
مذبح كنيستنا الصغير الذي كان يصلي فيه ويقدم كلاً
حضر الى مراغة ، واصدر يابلاها الجاثليق اوامره الى
جميع مسيحي مراغة ان يمتنعوا عن العمل ويلبسوا السواد
حداداً على ركن النصرانية ونورها الساطع ، وبدرها
التألق الذي غالته يد المنون ، فلم تخسر امته وحسب ،
بل النصرانية كلها او الشرق كله .

حاز المفريان العلامة منزلة سامية عند الملوك والامراء والرؤساء والعلماء وقد رأيناه في زيارته الثانية الى بغداد يحتمل قلوب المسيحيين فيها حتى ان الجاثاليق دنحاً عندما استقبله التفت الى الجماهير المستقبلة وقال : « طوبى للشعب الذي له مثل هذا » وسمعنا احد فضلاء المسلمين في مراغة يقول امام الجموع : « اني اذا سمعت خطايا من المفريان كأني اسمع الحكمة من ارسطوطاليس » .

وقد حاز هذه المنزلة السامية لزهده وقداسته وترفعه عن المادة وعلومه الغزيرة ومعارفه الواسعة ، ونستطيع تسميته بـ « دائرة المعارف » فكان رجلاً وليس كالرجل - هذا ما اردنا النظر اليه من حيث العلوم والمعارف العالمية وكان اعظم من ذلك جداً في العلوم اللاهوتية والروحانية والكتابية الأمور التي جعلته مساوياً للملافة الاقدمين ، وقد ترك لنا ذخيرة روحية عظيمة من كتاباته وتأليفه وكانت كلها موحاة من الروح القدس وقد سمعناه يقول : « من يريد ان يكتب اسرار الروح ولا يلممه الروح فهو صنع يرن ونحاس يطن لأن الروح لم يمزج عنوبة في كلماته . اما الذي يلتقي اسرار الروح نفسه ينيل سامعيه عنوبة ويستأصل من قلوبهم كل الآلام » .

شعره

تمهيد : شاعر فلاسفة السريان وفيلسوف شعرائهم ،
نادته ربة الشعر وهو فتى ، فسمع نداءها العذب في حلك
الايالي اللداجية ، وانزلت عليه الآيات البينات ، فتلقاها بورع
وخشوع كما يتلقى الانبياء الوحي المصفي من الملأ الأعلى ،
وراح يصوغ القصائد الخرد ، ويقذف الآليء الثمينة لبني
قومه الذين رصعوا بها عقولهم ، وزينوا قلوبهم ، وانزلوها
اسمي المنازل في ارواحهم وتغنوا بها في افراحهم واتراحهم ،
وسارت بها ركباتهم شرقاً وغرباً ، كيف لا ، وهي الذخر
النفيس الذي اتحفهم به فيلسوفهم الكبير وملفانهم البقري .

وما هي الا بعض قرون تمر ، واذا بالسريان ينسون
لغتهم ، ويفقدون آدابهم العالية ، واذا ببحر شعرهم الخضم
يبقى نسياً منسياً في ظلمات المكتبات وجاء الزمان على شيء
كثير من ذلك التراث الادبي النفيس ، ولا زالت الايام
تلاحقهم بالمصائب والمصاعب والويلات حتى الايام المتأخرة
حيث صفا لهم الجو بفضل الحكومات التي يعيشون تحت
ظلمها ، وكان باستطاعتهم تجديد لغتهم العريقة ، ودراسة
فلسفتهم القديمة ، واعادة اعلان العلم والادب والعرفان خافقة
فوق انديتهم ومدارسهم ، ولكن شيئاً لم يكن ، فانهم لا
زالوا يستنجدون العلم من هنا وهناك بينما كانوا ارباب العلم
واصحاب المعارف واهل الفلسفة قروناً عديدة ، ولا يعذروهم
المتبصر ولا سيما في هذه الايام التي يمكن اعادة العلم الى

نصابه ، واسترجاع المجد الادبي الغابر الى سابق عزه .

وهكذا كان نصيب شعر فيلسوفنا كتنصيب شعر بقية الشعراء الذين سبقوه بعصور عديدة اذ اصبحت محفوظاً في الكراريس والمجلدات ، فجهله كما تجهل معظم ادبنا العريق وفلسفتنا القديمة الباذخة ، حتى جاء نور المطبعة اخيراً فاخرج ديوانه مطبوعاً سنة ١٨٧٧ م نشره الراهب شبابي اللبناني الماروني ، ثم نشره الاب يوحنا دولاباني (سيادة مار فيليكسينوس مطران ماردين اليوم) سنة ١٩٢٩ م في مطبعة دير مـار مرقس السريانية معتمداً على عدة نسخ قديمة ومضبوطة ، ولكن مع هذا كانت فائدة السريان منه ضئيلة جداً لانهم فقدوا لغتهم .

ونحن نقول ذلك والالم يحز في نفسنا ، اذ يكفيننا التبرجح بالمجد الغابر والسؤدد التليد ، فان ذلك لا يفيدنا بشيء طالما لا زلنا في سباتنا الادبي العميق فذلك المجد العلمي ليس ملكاً لنا الآن ولكنه ملك التاريخ ، يتدارسه الناس في كل الاقطار سوانا - نحن الذين لا نعرف له قيمة ولا نقيم له وزناً بل نحارب الذين يريدون ان يخرجوا شيئاً منه امام وجه الشمس ، ونحطّم نفوسهم وهم بعد في مطلع جهادهم الادبي .

بين يدينا الآن ديوان شاعرنا الفيلسوف ، وقد اغرمننا

به منذ نعومة اظفارنا كما اغرمتنا بغيره من دواوين شعرائنا
الميامين الذين نبغوا منذ القرن الرابع الى العصور المتأخرة
وكم ~~ص~~كنا نود لو يعرف بنو قومنا لغة الاجداد ليتفهموا
هذا الادب الرفيع ويتذوقوا عذوبة هذا الشعر الجميل .
ونضع الآن على بساط الدرس والتفكير هذا الهيوان النفيس
لنظهر لبني قومنا وللعالم الادبي ما لم تكتحل به العيون
وتتمتع به الارواح ، ولا نبغي من ذلك غير وجه
ربنا الكريم .

ونستطيع تقسيم شعره الى عشرة اقسام كبرى ، طرق
فيها ابواباً لم يطرقتها قبله شعراء السريان منذ العصور
الاولى ، فهو الشاعر الوحيد الذي جال في جميع فنون
الشعر وصال جولات موفقة ، وصولات عالية ، لا زال
صداها يتردد من وراء العصور والايام ، وهذه الاقسام
العشرة هي :

١ - المحبة والاخوانيات ٢ - الرثاء ٣ - المدح
٤ - الهجاء ٥ - جمال الطبيعة ٦ - الاخلاق ٧ - النفس
٨ - الفلسفة ٩ - التصوف ١٠ - المقائد . ويرى القارئ
الكريم في السطور التالية كلمة ضافية عن كل فن من هذه
الفنون الشعرية التي كتب فيها شاعرنا الفيلسوف .

١ - المحبة والاخوانيات

لا نرى شاعراً من شعرائنا الاقدمين يتصدى لهذا الفن الجميل من الشعر حتى جاء شاعرنا الفيلسوف فاتبع به طريقة مثلى ، واعاره اهمية كبرى ، فجاءت قصائده بهذا الفن تذوب رقة وعذوبة ، لا نجد لها مثيلاً في ارق الشعر ، وعند ارق الشعراء المعاصرين ، فوصف فيه المحبة الصادقة ، وناغى كثيرين من احبائه واصدقائه بايات وقصائد عذبة كأنها السحر الحلال ، وراح يتفنن في صوغ الايات ، وتصيّد الاستعارات ، والتحليق في سماء البيان كما يحلّق النسر في اعالي الجو .

ففي مطلع ديوانه ، نرى له اياتاً عذبة في وصف الحب الطاهر ، فيتسامى في هذا الوصف حتى يبلغ اعلى الدرى ، ويناجي الحب نفسه مناجاة عذبة لطيفة فيقول : « ايها الحب الطاهر انك اشد جمالاً من كل جميل ، فما اسعد من نقشك على الواح قلبه ، قد احبك الله ، واحب محبيك ، فالويل ثم الويل للغي الذي جفاك . ايها الحب الطاهر ، ان شجرتك اجمل من جميع الاشجار وانك احلى من الشهد . » وهكذا يمضي في مناجاته هذه فيرى بلاغته قاصرة عن ايفاء حقه من الوصف والمدح الدقيق الى ان يقول : « ان فتى عذريا (يوحنا) اظهر لي جمالك - ايها الحب الطاهر - وان من اصل الالوهية اينع ثرك . »

ثم ينتقل الى وصف ارتياح الانسان بجانب صديقه
ومحبه ، فيقول : « واذا أكل الرجل الخرنوب مع حبيبه ذلك
اطيب من جميع الاطايب واحلى ، واذا كان مع حبيبه في
ثقب ابرة ، ذلك اطيب لديه من القصور الباذخة ، فان
ثقب الابرة مع الحبيب أوسع من الوديان » .

ثم يقابل بين المحبة والبغضاء ، وبين التواضع والكبرياء ،
ويستخلص من مقابله دروساً خلقية سامية ، فيعود الى
قارئه مرشداً منبهاً ، مصوراً هذه الامور أجمل تصوير
« وهكذا يدخل باب شوقياته واخوانياته برشاقة ولباقة ،
فيتصور نفسه بعيداً عن احبائه ، ويرى عبء الحياة ثقيلاً
في هذه الاحوال فيقول « كيف يحيا من كان بعيداً عن
احبائه ، وبماذا يطفى لهيب شوقه وآلامه ، ان الذي
ينحوض بحر الغربة سابحاً فانه يحبو اسمه من سفر ميناء
الحياة » .

ثم تتابع القصائد العذبة في هذا المضمار ، فيناجي
الصديق والمحب ويتألم لبعده ، ويتمنى قربه ، ويجزع عند
سفره ، كما يرتاح الى رجوعه ، ويصف الوحدة الممضنة ،
كما يصف النجوى العذبة بجانب الحبيب والصديق الصدوق
ويتصيد لذلك التعابير العذبة ، والمعاني الجميلة ، بحيث يهز
قارئه هزاً عنيفاً وكأنه يشعر بخفقان قلبه عند كل بيت

من هذه الايات المؤثرة ، فيتصور امامه الشاعر المهب
يناغي محبة الآخر بشوق ولهفة ، ويصف آلامه العميقة
ودموعه الثرى ، عند فراقه ، كما يصف سروره وافتعاشه
عند بقائه .

ولو قرأنا هذا القسم كله بدقة وانتباه نجد شاعرنا
الفيلسوف يعطينا من البيان اسما ، ومن البلاغة الشعرية
اجملها ، فقصائده هذه شمات من العواطف الصادقة ،
ودفقات من الشعور الحي ، الامر الذي يبرهن على قوة
شاعريته باجلى بيان ، ولا يمكن درس جميع هذه القصائد
العذبة في هذا المصباح لان ذلك يتطلب بحثاً واسعاً طويلاً ،
ومن اراد الاطلاع فعليه بالديوان ، اذا كان من مجيدي
اللغة السريانية .

٢ - الرثاء

نشأ فن الرثاء عند شعراء السريان منذ عهد بعيد ،
الا انه لم يكن رثاء بالمعنى الذي نريده اليوم ، فقد رثوا
النفس النخاطئة ، والبلاد المحطمة والديورة والكتائس التي
هدمتها الغزوات والحروب المتواصلة ، والتراث الادبي المنفقد
ولنا في ذلك قصائد عامرات لشعراء كثيرين منذ القرن
الرابع الى العصور المتأخرة .

الا ان الرثاء بمعناه الصحيح لم يتصدّر له الا شاعرنا

الفيلسوف ، وقد اجاد به كل الاجادة . ويمتاز رثاؤه بانه
يدخل موضوعه مباشرة دون مقدمات وسوابق شأن الشعراء
العرب ، فلا يذم الزمان ولا يشور على المصائب والمحن بل
يضع المرثي امامه فيضفي عليه حلة دامية مخضبة بالدموع
والأسى .

واذا قرأنا مرثيه نجدها كلها تذوب رقة وألماً ، تمشي
بين سطورها العاطفة الصادقة ، واللوعة العميقة ، ونرى
نفسه العذبة تسيل فيها كالماء النмир كما نستطيع لمس الحزن
والاسى في كل سطر من سطورها .

واشهر مرثيه قالها في المفريان صليبا والبطريك يوحنا
ابن المعدني وشقيقه موقت وميخائيل . فاننا نرى في هذه
المرثي جمالاً شعرياً قلما نراه في غيرها كما اننا نرى فيها
ميزات عاطفية عارمة اضعفتها عليها نفس الشاعر الملهم فجاءت
آية من آيات البلاغة السريانية معنى ومبنى .

ان مرثاته للمفريان صليبا لا تتجاوز بضعة آيات ،
ولكنها كتلة من الألم الصادق تبرهن على نفس كثيفة وقلب
متفجع باجلى بيان ، يبدأها بالاسف البليغ على المفريان
الراحل فلا يرى بعد رحيله غير الظلام ويشتاق الى انبثاقه
من جديد وطلوعه كالبدر المنير ، فيقول : « لانك رحلت
يا حبيبي هوذا الظلام يخيم على العالم ، فمتى يكون شروقك

يا قمر الاخوان ؟ ، وهكذا يمضي في التفجع عليه تفجعاً صادقاً يتم عن حزن عميق ونفس شفها الالم وارداها السقام .

اما مراثاه للبطريك يوحنا ابن المعدني ، فهي آية الآيات تفنن بها ما شاءت له شاعريته المتدفقة وعبقريته الفذة تدفقت بها نفسه الكريمة على « شمس الزمان ، ومصباحه ، وركن الكنيسة ، تدفقاً هداراً ، وظهرت له الكنيسة صحراء قاحلة بفقد هذا البطريك العلامة بعد ان كانت ربيعاً باسمًا بوجوده . ان الصفات العالية التي خلعها على ابن المعدني الراحل كانت صفات نادرة لا يستحقها اعظم الرجال ، وكأني به يرثي نفسه بهذه الابيات ، فانه يدعو ، « شمس الزمان ، والمصباح ، وركن البيعة ، ورأس النفس ونفس الروح ، والروح الطاهرة ، وزهرة القلب ، وحياة الحياة ، ونور العيون وقدس الاقداس ، وذا الروح الطاهرة ، والجوانح النقية ، والتاج الاسمي ، .

هذه بعض الاوصاف التي يخلعها على مراثيه العظيم ، يرسلها بايات رقيقة عذبة ، ثم يعود الى الكنيسة التي فقدته فيقول : « ان بوجوده كانت منتنا كلها نيسان ، وكانت الزهور الشدية تملأ رياضنا في قلب كانون ، وكنا نحوز العنب الشهي ابسان الثلوج وكنا نرقل بحنة عابرة كجنة عدن ، والآن بعد فقده فاننا في قلب الجحيم ، .

ثم يعود الى المرثي فيخاطبه بأبيات رقيقة شجية فيقول
مثلاً : « لتمت الحياة بعد حياتك يا ابا الحق ، وان
نسيتك لتنسي يميني المحبوبة ، ففي فقدك قد امتلأت البيعة
خصاماً ، لك وحدك كان الجمال الاسمي ، ووحدك كنت
تحوز الانسانية الكاملة ، فقل لي اين مكانك السعيد
وكيف تراك هذه العين الضعيفة ؟ » وهكذا يمضي في
مخاطبته بأبيات مضطربة تشعر الحزن العميق يموج عليها
ثم يعود الى نفسه فيصفها بالبؤس والخلو بعد فقدته هذا
الرجل العظيم ، الامر الذي يدل دلالة واضحة على حبه
العميق له وتقديره مواهبه النادرة ، ويختتمها بسكب بقية
العصارة النارية المتأججة في قلبه الكبير .

ومراثاه في اخيه ميخائيل تبرهن على ما كان يكنسه
لهذا الشقيق الراحل من الحب الاخوي الكامل ، والتقدير
الاسمي ، فانه يبدأها بهذه الكلمات : « بموتك يا اخي
ذهلت وحقني الشقاء والجنون ، ولا ادري ماذا اقول
ابوتك ذقت الموت الزؤام ، ام ان الموت بموتك ابتلعني
كالتنين ؟ » ثم يمضي في وصفه وصفاً بارعاً مظهرأ منزلته
العظمى بين اخوته الباقين ، فيقول : « كنت يا اخي بين
اخوتك بهي الطلعة مثل بهاء البدر بين النجوم ، وكنت
وحدك تبدد عنا الضيقات والكروب كما تبدد اشعة الشمس
دياجير الظلام ، وهكذا يمضي في اظهار الكارثة بأجلى

مظاهرها ، واحلك صفاتها ، بينما ينظر الى نفسه البائسة
امامها كالريشة امام هول العاصفة ، الى ان يصور فيه
الانسانية الكاملة ، والكيان الاعلى ، وبفقدته فقدت الانسانية
ذاك الكمال الاسمى ، فيقول : « ان يموت اخي قد ماتت
الانسانية (وهو يقصد بها الاخلاق الانسانية العالية)
لانه كان بالفعل الانسان الحقيقي ، فانه كان كل انسان
(حقيقي) وكل انسان (حقيقي) كان اياه ، . وتأتي
الايات بعد هذا ترى مظهرة خلجات الشاعر الدامية على
اخيه الراحل حتى يحتما بالتجني على قلبه ، فيدعوه قلباً
قاسياً مثل الصخرة ويقول : « لو لم يكن قلبي قاسياً مثل
الصخرة ، لمزقه الانين عليك ، .

ولئن كنا نرى بعض الجنوح الى المبالغة في مراثي
شاعرنا العبقري ، الا ان هذا يبرهن على شدة لوعته على
مرثية شأن كل شاعر في جميع اللغات وعندى ان ذلك
لا يسيء الى شعره بشيء انما يضيف عليه حلة الصدق
ويبرهن على رقة عاطفته ومهو تفكيره .

ولديه مرات كثيرة اخرى ليست اقل منزلة واطرف
عاطفة من مراثيه الثلاث الآتفة الذكر ، فكلمها تحوز نفس
المنزلة ، وفي جميعها تسيل نفسه الكبيرة مترققة كالماء
الزلال .

وليس لديه مرات على الكنائس والاديرة شأن كثيرين
من شعراء السريان الالماما ، فانه رثى دير مار برصوم في
ملطية بيت واحد فقط ، ورثى ديراً آخر بيت آخر ،
الامر الذي يدل على انه لم يكن يريد الاتيان بما اتى به
السابقون من الشعراء .

٣ - المدح

نشأ فن المدح عند شعراء السريان منذ القرن الرابع
يحمل لواءه الشاعر الطائر الصيت مار افرام السرياني ، وقد
جاء فيه بالآيات البيّنات ، وبلغ ذروة السمو والابداع ،
كما حمل الطرف الثاني من هذا اللواء الشاعر السرياني
الاكبر مار يعقوب السروجي الذي جاء شعره في كل ابوابه
آية الآيات ، كما نجد بعض الشعراء الذين يقلون عن هذين
الشاعرين نفساً ومقدرة الا انهم ابدعوا في كثير من
قصائدهم المدحية .

وتناولت هذه المدائح الشعرية اعمال السيد المسيح جل
شأنه والبيعة المقدسة ، ومواهبها واسرارها ، والسيدة
المدراء ، وطبقات الشهداء والقديسين (١) .

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٣٧ .

وجاء شاعرنا فأعار المدح اهتماماً كبيراً فمدح كثيرين من مشاهير عصره من اساقفة وعلماء وغيرهم ، ويمتاز مدحه بخلوه من الغلو والمبالغة ، ولا تتجاوز مدائحه بضعة آيات يحصر فيها ما يريد من مناقب المدوح ، واوصافه ، وما يجدر ذكره انه يصرف همه شعرية في اظهار الاوصاف العقلية والنفسية للمدوح اكثر من الاوصاف الجسمية التي قلما يعيرها اهتماماً يذكر ، وان كان يتطرق اليها في بعض الاحيان الا انها واسطة لا غاية ، وانما هدفه من ايرادها التوصل الى ما هو اسمى منها ، وهي الفضائل ومكارم الاخلاق وبقية المزايا النفسية العالية .

٤ - الهجاء

لم يتصد شعراء السريان منذ اقدم عصورهم لهجاء الناس ، وشعرهم منزّه عن ساقط القول ، وبذئء الكلام ، وكل ما نراه عندهم في هذا المضمار انما هو تقريب بعض اصحاب البدع ، ولوم الجانحين الى الضلال ، ونجد في اشعارهم شيئاً كثيراً في هذا الميدان ولا سيما في شعر مار افرام ويعقوب السروجي وغيرها .

اما شاعرنا فانه تناول بالذم بعض الجهال والمدعين فاغلظ لهم الكلام ، كما انه تناول بعض رؤساء زمانه فأظهر جبنهم وتقصيرهم في واجبهم ، الا انه لا يستفيض في

شعره بهذا الباب ، بل يأتي بأبيات متفرقة يحصر فيها كل
الاصناف الذميمة التي يريد خلصها على المهجور ، فيقول مثلاً
لرجل جاهل : « انك غارق في الحمأة الى اذنيك ولا تشعر
بانك مثل بصهباء الجهل ، واعلم يا هذا ان ليس في عضو
من اعضاءك استقامة ، وانك لا ترى لأن الجهل قد
اعمى عينيك » .

ويقول في ذم سفية : « اذا كان الكلب لا يضر احداً
بنجاحه فدعه ينبع الى ابد الآبدين لأنه حقير وذميم ،
وهو لا يرى السارية التي في عينيه بل يرى دائماً القذى
في عين اخيه » .

ثم يتطرق الى ذم بعض الرؤساء المهملين الذين ازدروا
نظم الآباء الاولين ويظهر اوصافهم وتقصيرهم ، فيرى فيهم
الذئاب الخاطفة بين قطيع من الحملان الوديمة فيظهر جشعهم
واطماعهم ويحذر الحملان منهم فيصورهم باشنع صورة وارهب
تكوين .

ويرى رجلاً من المدعين بالعلم والفصاحة وهو بعيد
عنها كل البعد ، فيتناوله بالتقريع والذم ويظهر امام الملأ
جاهلاً مهذاراً وهكذا ترد ابياته في الهجاء ، وهي تصور
نفساً شاعرة تساق الى الهجاء كرهاً لما لقيته في مجتمعاها
من الهنات والسقطات ، وهو الشاعر السرياني الوحيد الذي

اعتمد هذه الطريقة في اللم والهجاء .

٥ - جمال الطبيعة

لم يتصد احد من شعراء السريان لوصف جمال الطبيعة الا الشاعر المبدع داؤد بن فولوس « في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع » الذي انشأ « قصيدة افرامية بديعة مطوَّلة في الاشجار واثمارها وانواعها وخواصها (١) » ، ولما جاء شاعرنا العبقري وفيه حب لجمال الطبيعة ، راح يعني كالبلبل الصداح على افنانها المتأودة فجاء بالسحر الحلال وابدع كل الابداع لانه فتح باباً جديداً في الشعر السرياني لم يفتحه قبله غيره من المتقدمين .

ان اروع قصائده واجملها في هذا الباب قصيدته في وصف الورد ونيسان وهي وان لم تكن بالطويلة ، الا انها بلغت عنان الابداع ، ومما يقول فيها : « هوذا جاء نيسان فعزى المكرويين والبس الجبال والسهول من الورد حلة المجد الجميل ، وقد دعا الى عرس الورد والزهور ، فتجمعت ، وهو يفتح الطريق للعريس لكي يخرج من خدره ، قد تزينت زهور الحقول مثل العرائس ، تحررت من عقاب الشتاء ، وانطلق لسان العنديل فراح يصدح ، وعلى منابر

(١) اللؤلؤ المنشور ص ٣٢٩ .

الترجس والآس يعني ، وهكذا يمضي في وصف جمال الورد
مفضلاً إياه على جميع الزهور ، وفي هذه القصيدة محاورة
شعرية بينه وبين الورد ، ويتكرر لهذه المحاورة الجميلة سبباً
شعرياً جميلاً يتعلق بجمال الورد نفسه .

يقول : لما كان الورد منذ مدة قليلة جديداً أراد
الاحتجاب في الجنيحة ولكن رأته بعد ذلك يتبدل بين
الحوانيت ، فيلقي بنفسه الى احضان الجهال كالمستهتر «
وهذا هو السبب الذي هاج به ان يلقي عليه اسئلته
العديدة فيتلقى عليها جواباً مقنعاً ، ويجدر بنا ان نورد
هذه المحاورة النادرة للقارئ الكريم فيرى فيها الجمال
الشعري خلال هذه السطور :

« قلت للورد : ما لي أراك في ايدي الجهال والسكران
المعربدين واحضانهم ؟

« قال الورد : مهلاً ايها السائل هديء روعك ، ان
حياتي قد هبطت الى الهاوية برفقة الاشواك !

« قلت للورد : لم تتبدل كالمستهترين ؟ لم لا تصون
جمالك إبان المحن ؟

« قال الورد : كن واعظاً لنفسك يا هذا ، فالاستهتار
أهون علي من هذه الاشواك .

« قلت للورد موبخاً : لمَ تسلم نفسك لكل انسان ؟
فيضعك في حضنه كالمستهتر السكرى ؟ »

« قال الورد : ان حياتي لقصيرة وجمالي يزول ، فلم
أتلص ، وهذا البهاء سيدوي . »

« قلت للورد : عندما يريد الجنان ان يقطفك ،
اضربه في شوكتك ولا تدعه ينزعك . »

« قال الورد : تعلم الجواب من بؤسي ، انه يريد ان
ينقذ جمالي من رفقة العوسج . »

« قلت للورد : عندما يحاول الجنان قطفك ، خزه
في صدره ولا تدعه ان يخطفك . »

« قال الورد : اني قد فتحت في لأقبل اليد التي تريد
تحريري من عبودية الاشواك . »

وهنا تنتهي هذه المحاوره الشعرية الجميلة ، وفيها موعظة
وعبرة للعاقل والحكيم ولم يرسلها الشاعر جزافاً ولكنه
يقصد بها اظهار رغبة الحكيم في الابتعاد عن السفهاء
والجهال مهما كلفه الامر من الاتعاب والآلام .

ثم يمضي في اطراء جمال الورد وعبيره ، فيرى كل
فصيح قاصراً عن ايفاء الورد حقه من المدح والاطراء ،

ولئن جاء بألوف القصائد ، وهو يرى ان جميع الزهور ،
عبيد ، وهو وحده السيد المطاع ، وجميع الزهور جنود
وهو وحده الملك العظيم . وبعد ان يشبع شاعريته الخصبية
من التحليق والتفنن يدعو العاقل للتمتع بجمال الورد ، لأن
دونه كل جمال في هذه الطبيعة ، وهو رمز الطهر والنقاء ،
ورمز السمو والاجلال ، وهكذا ينحتم قصيدته البديعة
هذه بان يجعل جميع الازهار والرياحين تجثو ساجدة للورد
مقدمة له هدايا الجمال والعبير .

وله قصيدة اخرى قصيرة في وصف جمال الورد لا
تقل عن هذه الاولى روعة وجمالاً ، وقد اورد فيها معاني
جديدة ، وتعابير منتخبة منتقاة من اسمى سماء الشعر
السرياني .

وله ابيات جميلة في وصف الكواكب السيّارة ،
فيمضي في وصفها ووصفاً شمرياً لا فلكياً ، وان كان قد
اشبعها درساً وتحقيقاً في مؤلفاته الفلكية ، الا انه يراها
هنا بعين الشعر فيختار لها اوصافاً مستملحة جميلة ،
ويقدمها للقارئ بحلة شعرية قشبية .

وله اربعة ابيات جميلة جداً في مناجاة « شمعته » وكم
جلس اليها يستمد منها النور الضئيل في صومعته الصغيرة ،
وعلى ضوءها الضئيل قدم لنا تراثه العلمي والادبي النفيس ،

ونحن اذاً مدينون لهذه الشمعة بهذا التراث المنقطع النظير
فاسمعه يناجيا بهذه الايات :

ايها الشمعة ما هذا الشحوب
ما دهاك الآن هل عسف الغروب ؟
ليس منك الرأس ناراً وحده
مثله قلبي على النار يدوب

★ ★ ★

شمعتي ما لي ارى في ذا المساء
بسمة الثغر وفي العين البكاء
تمت : شهدي حبيبي ابعدوا
وبرأسي اشعلوا نار الشقاء

وله ايات اخرى في مناجاة « شمعتي » ووصفها وهو
يراها هنا ساطعة جميلة ، كما انه يرى الجمال النادر في
شحوبها ، وكما يجد الف معنى ومعنى في دموعها ورجرجتها
وخمودها ، فينتقي لها اجمل المعاني ويسكبها في اجمل
الالفاظ ، الامر الذي يدل انه كان يسهر على نورها
معظم لياليه .

ثم ينادر « شمعتي » الى « قنديله » وهذا ايضاً من
وسائل الاضاءة عندهم فيرى فيه نوراً ساطعاً لا يراه في

« الشمعة » وعلى نوره الساطع هذا يخصه بايات عامرة ،
ويضفي عليه نوراً على نور ، وجمالاً على جمال ، وهو
ايضاً شقيق الشمعة الاكبر اتخذه شاعرنا معزياً له في ايامه
الطويلة ، ورفيقاً في اعماله واتعابه وامساره .

وله قصيدتان جميلتان في وصف « المروحة » كنا قد
عرّبنا اولاهما نظماً ونشرناها في مجلتنا الاولى « المشرق »
(السنة الاولى ص ١٦١) والثانية تفوق الاولى حسناً
وابداعاً . وها نحن نعيد طبع هذه القصيدة المعرّبة
ليطلع القارئ على مدى ما بلغه شاعرنا الكبير من خيال
واسع وتفكير بديع :



المروحة

« للشاعر الخالد مار غريفوريوس ابن العبري »

بين جنحي نسيم الجنة
فليمانقي أصيحاب الضنى
جسبي الواهي غير منعمش
ويكفي الشدى مضطجع
نسمة مني رحيق مسكر
وبخدي رفة الخلد غدت
يا لجنحي عندما رف على
كم يوافيه بانفاس الهنا
في مناجاتي عزاء خسالد
وحديثي مؤنس قلب الذي
قطرات الحب من روجي جرت
قد جاني الله يوماً سلطة
وجبا جنحي برداً منعشاً

وبانفاسي اريج الزهرة
كي اوافيهم بطيب النسمة
ولهاثي برد حر الفلة
ونسيمي كالندى للوردة
ينعش الوهان سحر النسمة
تملاً الدهر بسيل الغبطة
وجنة الظمان يوم المحنة
كم وكم يسقيه ماء النعمة
يبعد الاشجان يوم الكربة
يشقكي عسف الحياة المرة
تنعش الصدر بدمع المقلة
تخضع الشمس لها كالعبدة
كل صدر فيه رسم الحرقرة

★ ★ ★

عربها بتصرف كاتب السطور . (مار غريفوريوس بولس بهنام)

٦ - الاخلاق والاجتماع

اذا تحريتنا الادب السرياني ، نجد اكثر من ثلاثة ارباعه خلقياً واجتماعياً يعني بتطهير الهيئة الاجتماعية من ادراجها ، ويرفع بالروح البشرية الى المثال العليا والفضائل السامية ، ويهيب بالنفس الى الالتصاق بالخير ، ونبذ الشر والاتصال بالعوامل الروحية عن طريق الفضيلة والقداسة . ولا جرم ، فان هذا الادب صادر من رجال كرسوا نفوسهم لهذه الناحية الهامة ، وكانوا مشاعل الهدى والنور في جميع العصور ، وقد حمل لواء هذا النوع من الشعر مار افرام السرياني وتلاميذه ، بينما حمل الطرف الآخر منه مار يعقوب السروجي ومار في ركبها كثيرون من شعراء السرياني منذ انبثق الشعر السرياني الى عالم الوجود حتى خبا نوره في العصور المتأخرة .

واذا عدنا الى ادب شاعرنا الفيلسوف نراه فارس هذا الميدان لا يجارى ، فلهذه القصائد العامرات ، يرسلها بايبيات عذبة تمفق والنوق الروحي للنفس البشرية ، فقد حارب فيها نزوات النفس البشرية العارمة ، وحمل حملات شعواء على الرذيلة ، واهاب بالنفس الى اليقظة والمطلع الى الملأ الاعلى ، مناشداً اياها بشرفها الروحي وكيانها الأسمى . حارب في قصائده هذه ، الشراهة والطمع والكبرياء

والغش والنميمة والاعتياب ، والاسراف في طلب اللذة
والمال ، كما انه اطرى السخاء والكرم والتواضع والمحبة ،
واعطى دروساً خالدة للشباب في طلب العلم والامعان في
جمع الحكم المثلى ، والاعراض عن التبذل والامتهار ،
وتوجيه نزوات الشباب الثائرة الى الخير والفضيلة ، مظهراً
خطر السقوط في الموبقات اذا اهملت هذه النفس الفتية
وترك لها حبلها على غاربها ، شارحاً الاضرار الجسيمة التي
تنجم من الاسترسال في الغواية والامتسالم لاندفاعات النفس
الامارة بالسوء .

واجمل قصائده في هذا الموضوع قصيدته الخلقية الشهيرة
التي كانت مكتوبة على « منسلته » فقد كان يتأملها كل
صباح ومساء ، ويهيب بمن كان حوله الى قراءتها وحفظها
والامثال بنصائحها ، ويدعوها بهذه الكلمات : « يا من
تغسل ايدي الجسد كل يوم ، لم لا تغسل النفس المغلفة
بالعيوب ، كيف تطهر ما كان في طبيعته قذراً « الجسد »
وسوف يفنى وتحيطه الظلمات في القبر ؟ » ثم يعود الى
نفسه فيخاطبها بقوله : « يا غريغوريوس ! قد اوشك العريس
ان يأتي فلا تم ، واستيقظ وانهض لئلا يغلق الباب بوجهك ،
واذا تأخر قليلاً ، فلكي تغسل ادرانك صلِّ ووصم ،
وتسلأ مصباحك وتخرج للقاءه ، ثم يخاطب الانسان بهذه
الكلمات : « يا من تغسل الايدي والوجه بالماء كل يوم ،

لم لا تفعل نفسك المملوءة كل عيب ، ان قدارة الجسد
توسخ الجسد ، كما يعلم الجميع ، اما قدارة النفس ، فانها
تعذب النفس والجسد ، فلا تم .

وهكذا يمضي في وعظه الشمري هذا حتى يخرج بنتيجة
صالحة يقدمها درماً خلقياً خالداً لكل العصور ، ولجميع
الناس ، ثم يورد نصائح ثمينة للاولاد والشبان ، ويمثل
لهم زوال الجمال ، ونهاية الحياة بايات عذبة وارشاد
مؤثر لذيذ .

ثم يمزق حجب الواقع ، ويصعد الى الذروات الروحية
ليرفع النفس البشرية الى درجة الكمال القريبة من الله ،
وهو لا يرضى لها الا هذه الحالة السامية بالنسبة الى اصلها
الآلهي ، وقد خلقت على صورة الله واعدت لتكون كاملة
تشبه الله بقدميتها وتساميا عن المادة ، وقصائده في
الكمال ، درر غوال قلما اكتحلت عين الادب السرياني
بامثالها ، وقد اتخذها بطريقة فلسفية عالية من جهة ،
وبصورة سائفة رقيقة من جهة اخرى ليستفيد منها العالم
والجاهل ، ولتتم فائدتها كل الاسرة البشرية .

واروع قصائده في هذا الباب قصيدته الاولى التي يبرز
فيها صفحة ناصعة لهذا الكمال امام العقل البشري . ثم
يعطي صوراً اخرى للكاملين وانواعهم ومنازلهم وحالاتهم

الروحية بطريقة تستهوي المطلع وتحمله من عالم المادة الى عوامل الروح ، وتظهر له تلك العوامل العذبة التي تضيع فيها المقاييس البشرية الآنية ، وتبديل بمقاييس الحقيقة الكبرى . ولا نستطيع في عجالتنا هذه التطلع الى هذه القصيدة الا بهذه الكلمات الضئيلة التي تعطي القارئ الكريم فكرة بسيطة عنها ، وهي تكفي لمن اراد الاطلاع على روعتها وجمالها ناهيك عن ان نحصرها في هذه السطور يتعذر لانها تربي على الثلاثئة بيت من الشعر السرياني المزدوج القافية ، وقد قلها في بغداد ابان زيارته لها سنة ١٢٧٧ م .

٧ - النفس البشرية

لا نجد في الادب السرياني شيئاً لهذا النوع من الشعر ، واول من طرقه هو شاعرنا الفيلسوف فاتحنفا يضع قصائد عذبة ذات روعة وجمال وجلال شأن كل قصائده ، ولم يتخذ النفس البشرية موضوعاً للدرس والتحليل كما فعل في بحوثه الفلسفية والنفسية الرائعة ، بل جعل النفس موضوعاً شعرياً جميلاً تغنى بسحرها وجمالها وروحانيتها وأهاب بها الى اعتبار هذه الميزات العالية التي خلعا عليها الخالق الحكيم .

ففي قصيدته الاولى نراه يخاطبها ممثلاً ايها بحمامة جميلة

فيقول لها : « ايتها الحمامة الطفلة ، اذا تفاخرت باجسادك ،
وسموت اليها بقواك فانك تستنيرين مثل الشمس الساطعة ،
وتحوزين الكمال باشعة الروح مثل الملائكة ، واذا سطعت
بالنظريات العالية والاعمال الصالحة فانك تنتقلين الى عوالم
الروح السامية وتحررين من ربة المادة الخسيسة ،
وتكونين رفيقة لأبناء الروح في الملائكة الأعلى » وهكذا
يمضي في مناجاتها مظهراً لها شرفها الروحي وكرامتها الأصيلة
حتى يصل بها الى الله الذي يراها على صورته ومثاله
بالكمال والقداسة .

وفي بقية اشعاره وقصائده النفيسة ، يهيب بالنفس
ايضاً الى التخلص من ربة الجسد والتمرد على نزواته
ورغائبه الكثيرة محرضاً اياها ان تحطم هذا القفص الذي
تستعذب الاقامة بين قضبانه الحديدية لكي تتطلع الى عالمها
الأسمى ، عالم الروح ، غايتها الحقيقية القصوى شارحاً
لها ما يفعله « اللقط » بقواها وكيف يجتذبها الى الخضم
مواردها موارد الموت الزؤام .

ثم يظهر لها جمال العلم والمعرفة والتفكير الصحيح ،
الامور التي هي لذتها الكبرى في هذه الحياة ، كما انه
يشرح حالاتها الروحية عند حيازتها هذه الامور ، وبلوغها
ذروة تستطيع التطلع منها الى عوالم الروح .

واروع قصيدة له في هذا الباب ، مطولته البديعة التي يظهر فيها اصل النفس وجمالها ويقدم فكرة صائبة عنها ، وبعد ان يعدد جمال الكائنات السموية والارضية ونظامها العجيب ، يعود الى النفس فيفضل جمالها الروحي على كل جمال في السماء والارض لانها مخلوقة على صورة الله ، وتأتي اياته فيها متعاقبة حاملة الى القارئ اكرم موضوع بأجل تعبير وابلغ تفسير .

٨ - الفلسفة

ليس لدينا في الأدب السرياني قصائد فلسفية بالمعنى الصحيح ، حتى القرن الثالث عشر حيث نبغ الشاعران الكبيران ، ابن المعدني البطريك ، وشاعرنا الفيلسوف ابن العبري المفريان ، وهذه تشمل قصائدهما في النفس والكمال وطرائق الكاملين ، على ان الصبغة الفلسفية تجلت باحسن ما يكون في شعر فيلسوفنا الذي جمع بين كفيه كل المواضع وطرق كل الابحاث ، واروع قصيدة فلسفية له هي قصيدته في البحث بقول سقراط الفيلسوف : « الشريعة جميلة الا ان الفلسفة أفضل منها » ويسير فيها بطريقة بحث فلسفي ، فيضع على بساط البحث قسول الفيلسوف الاغريقي ، ويعدد صفات الشريعة وصفات الفلسفة ، ثم يقابل بينهما مقابلة دقيقة ويخرج بنتيجة رائعة هي فكرته الخاصة من هذه الناحية .

هذا ما يقوله في مطلع القصيدة ، ولكن مطالعها لا يجد القصيدة تسير الى هذه النهاية ، وعندني انها مبتورة سقطت منها ابيات كثيرة غالها الزمان كما قال قسماً عظيماً من الادب السرياني .

والنتيجة التي نجدها في القصيدة بعد سقوط ما سقط منها ، هي تفضيل « الشريعة على الفلسفة » لأن الشريعة في متناول جميع الناس ، عالمهم وجاهلهم ، أما الفلسفة فهي خاصة بالعلماء والفلاسفة ، وهي وان كانت كافية لارشاد الانسان الى الطرق المثلى الا انها عويصة صعبة المنال لا تستسيغها العقول العادية ، بينما الشريعة سهلة المأخذ سائغة وضعت لقيادة هذه العقول العادية الى الخير دون ان تتجشم عناء التفكير العميق والبحث الدقيق وهذا رأي شاعرنا الفيلسوف في الرد على قول سقراط .

٩ - التصوف

الشعر التصوفي بالمعنى الصحيح لا نجد له اثرأ في الادب السرياني القديم الى القرن الثالث عشر ، في قصائد شاعرينا الفيلسوفين ابن المعدني وابن العبري ، فان ابن المعدني أورد فيه قصائد ممتعة في حالة الكمال ، واحوال الكاملين ومراتبهم ، والتصاق النفس الكاملة بالله واتحادها فيه ، كما اورد ابن العبري بنفس المعنى قصائد رائعة

تستطيع جعلها من قسم القصائد الخلقية الكبرى او القصائد
الفلسفية ، الا ان اروع قصيدة له في النصوص بمعناه
الصحيح هي قصيدته الفريدة في « الحب الالهي » و « يتخذ
الخمرة » مثلاً لهذا الحب ، بطريقة الخيام المعروفة ، ويشتاق
الى هذه الخمرة فيريد شربها بكؤوس مترعة ، ويقول
في مطلعها :

« قم ايها الجميل ، فقد دنا الصباح . واسقني من تلك
الجرة القديمة العذراء قليلاً من الخمر ، فان هذه الخمرة تبدد
غيوم الكروب ، وتجلبب ظلام ليل الآلام ، انواراً
ساطعة » .

ثم يعود الى هذه الخمرة فيعطينا فكرة عن اصلها ،
ويقول : « هي قديمة جداً ، سبقت قدم الزمان ، وكانت
موجودة قبل وجود المساء والصباح . ولا يبلغها العقل
بتفكيره . ولا يصفها لسان البليغ . ومن حاول ذلك فانه
يعود مخذولاً . انها لم تسكب في جرة جسم ارضي مطلقاً .
لان صفة الخرف والخزاف هي ادنى منها بكثير (وليست
من الكرم ، ولم تمسها يد الكرام وعنقود العنب ليس
اباها ، (وليست بنتاً له) .

وينظر الى العالم فيراه معرضاً عن هذه الخمرة فلا يعجب
من ذلك فيقول : « اذا انكر الجاهل لذتها ، فليس عجباً

لانه لم يذق طعامها ، لذلك ينكرها ، .

ويعدد مفاعيلها في الرجال الافاضل الذين تناولوا منها
ولو بعض القطرات وقد ظهرت هذه المفاعيل في سموهم
واعمالهم العجيبة .

ويصفها بانها : « رقيقة صافية رائعة مثل الهواء والنار ،
وعندما تسكب لا تبلغها حاسة البصر العادية ، ومن تناول
منها ، ولو قطرة صغيرة يرى في ذاته العجب العجاب » .

ويعود اليها مرة اخرى « فيراها تجمع العالم تحت صعيد
واحد فلا تترك فرقاً بين الكبير والصغير والغني والفقير
والذكر والانثى (بل العالم كله روح واحدة ونسمة
واحدة ، ولكن على شرط اذا شرب منها وترنح بفكرتها
الروحانية ، ولا يتم هذا الا اذا بلغ « الشارب » درجة
الفناء الصوفية المعروفة ، فيحتقر المادة ويزدري العالم ،
ويتسامى رويداً رويداً في عالم المعقولات حتى يتحد بالله او
بتعبير آخر « يعنى فيه » كما يريد الصوفية .

ويعني في تعداد ما يصيب الحواس البشرية عند كل
رشفة من هذه الخمر الالهية ، وكيف يتناسى شاربها
حواسه الجسيمة حاسة فحاسة حتى يشعر كأنه مخلوق روحي
صرف ، فيستطيع حينئذ ان يقول : « انا والآب واحد » .

والقصيدة طويلة تسير على قافية واحدة ، وهي (رائية)
ويحتمها بصرف القارىء الى الذين حاولوا الشرب من هذه
الخمرة فاخفقوا ، وما هي حالتهم ومنزلتهم عندما يعودون
متعثرين باذيال الخيبة والفشل .

ولديه في « التصوف » قصائد ومقطعات اخرى تحمل
الطابع نفسه ، الا انه في هذه الاخيرة يجعل « الحب »
وامسطة للتوصل الى « الواحد » والفناء في ذاته الالهية
بالطريقة التي عبّر عنها شيوخ المتصوفة المشهورون ، ويجعل
المغرم في هذا الحب مجاهداً ، والحب نفسه جهاداً قاسياً ،
وقليلون هم الذين يستطيعون هبوط هذا الميدان ، لان
جولاته عنيفة قاسية مروعة .

١٠ - العقائد

في الادب السرياني فيض غزير من القصائد « العقديّة »
واهتم شعراء كثيرون في سكب عقائد الكنيسة في قوالب
شعرية جميلة كانت كلها موفقة كل التوفيق ، اما شاعرنا
الفيلسوف فليس لديه قصائد كثيرة في هذا الباب غير قصيدة
او قصيدتين ، والاولى ، وهي الأهم ، ليست منشورة في
ديوانه المطبوع ، غير اننا نحوز نسخة كاملة منها ، وقد
وجهها الى دنحما جاثليق النساطرة عندما ألقى عليه بعض
الامثلة ، وهي افرامية لم يلتزم بها قافية واحدة ، وهي

من الناحية الشعرية أقبل نصياً من بقية قصائده ، والبحث فيها يدور حول عقيدة الكنيسة القديمة في سيدنا المسيح وكيف بدلت هذه العقيدة في آراء نسطور واتباعه ، ثم يؤيد عقيدة الكنيسة بطريقة منطقية موفقة ، وينتقل الى لوم النساطرة لانهم بدلوا نظم الآباء القديمة ، وخرقوا حدوداً وضعها الأئمة الاقدمون .

وله في ديوانه بعض المقطعات في هذا الباب ، أحسنها قصيدته الموجهة الى (خميس النسطوري) في تأييد الاتحاد الطبيعي في السيد المسيح ايضاً ، ويتخذها بطريقتين منطقية وكتابية يؤيد فيها رأي الكنيسة وعقيدتها ، وهذا أم ما نقرأ له من الشعر الاعتقادي .

١١ - الحكمة

هام فيلسوفنا بالحكمة منذ نعومة اظفاره ، وكان يطلبها في الليل والنهار ، واذا تحربنا ديوانه نجد له قصائد عذبة في هذا المضمار ، يصفها ويطري جمالها ويجملها رائد الحياة برمتها ، بل يجعل الحياة بدونها قاعاً صافصافاً ، والقلب الذي يخلو منها ميتاً لا حياة فيه وكم رأينا واقفاً ببابها يطرقه لكي تفتحه له ، ويتصور نفسه صبياً هام بها ، وهي تترفع فتأبى مقابلته ، وقد عربنا بعض ابياته بهذا المعنى بتصرف ونشرناها في مجلتنا الاولى « المشرق » (السنة

الاولى ص ١٢٣) ولا نرى غضاضة من ارادها هنا ليعلم
القارىء مبلغ حبه للحكمة ومنزلتها الكبرى عنده . قال :

فقد طرقت الباب حتى اشرفت

ثم قالت : من يباني طارق ؟

قلت : اني ذلك الصب الذي

في هواك المذب ممسي مؤرق

فأجبت : اى صب يا ترى

صكل القلوب في « هوانا » خافق

بين أصحابي شباب قد ذوو

وشيوخ في الجوى قد ارهقوا

وبعد هذه المحاورة القصيرة نسمعها تناديه وتضع له

الشروط اذا اراد الاتصال بها ، فتقول :

يا فتى الاحلام ان تبسغ الوصال

او تود الحب او تهو الجمال

فاترك الدهر وهيا واستبق

ككوثر الآمال من مائي الزلال

طاطيء الرأس على اعتابنا

وافرش الخمد على تلك الرمال

هذه بعض الابيات التي نستطيع نقلها لقارئنا الكريم

من مطارحاته للحكمة وهي كافية ان تترجم حال هذا الفقى

الذي هام بها ، وهامت به فانزلت عليه من علياء مقامها
الآيات البيّنات .

على ان اعظم قصيدة له في هذا الموضوع ، هي ملحمته
الكبرى « الحكمة الالهية » وهي الملحمة الوحيدة في الادب
السرياني ، بل ان الأدب السرياني لم تكتحل عينه بمثمها
منذ نشوئه الى اليوم ، وهي التي رفعت صاحبها الى مصاف
اعظم شعراء العالم اصحاب الملاحم الشعرية الرائعة ، والادب
السرياني يفاخر العالم بتقدمه هذه الدرّة النفيسة الى القراء .

ظلت هذه الملحمة النادرة بلغتها السريانية ، يحفظها
كثيرون من السريان ، ويتغنون بها في افراحهم ومجالسهم
وهي عندهم أشهر من « قفانك » في الأدب العربي ، الا
اننا في العصور المتأخرة ، لا نرى من يعرف شيئاً عنها
لأن شبابنا المثقف فقد لغة جدوده ، ولم يتصد أحد العلماء
لتعريبها غير الامتاذ بطرس البستاني الذي عرب بضعة
ايات منها وتوقف ، ولكنه خرج عن المعنى السرياني
خروجاً كبيراً ولم يستطع السير بالتعريب الى نهاية القصيدة
لما يكتنف العرب فيها من العقبات اللغوية والشعرية
الكأداء ، ومن الصعب جداً ان يخضع الشاعر ، مهما كان
ذا شاعرية واسعة ، الشعر السرياني ويحصره في أبيات من
الشعر العربي ، ومع علمنا بهذه الصعوبة العظمى ، لم نشأ
ان تبقى هذه القصيدة العصماء بعيدة عن افهام الناشئة

والشباب المثقف فتجردنا لتعريبها نظماً محافظين جهد الامكان
على معانيها وأساليبها الشعرية ، ولنا السرور ان نقول
لقارئنا الكريم ان الله وفقنا بنقلها الى اللغة العربية نظماً
باقل من عشرين يوماً ولم نشعر الا وبين أيدينا ثلاثمائة
بيت من الشعر العربي هو تعريب الملحمة الكبرى بحذافيره ،
وقد حرصنا على ابداء المعنى كل الحرص ، وتقدمها هنا
لقراء مجلتنا « لسان المشرق » وغيرهم لنظهر للعالم عبقرية
شاعرنا الفيلسوف ، وشاعريته المتوثبة المجنحة ، وقد وضعنا
في الحواشي المعاني الكاملة لرموزها ، وهي قصيدة رمزية
بالمعنى الصحيح وهذه الحواشي تفتح طريق رموزها للمطالع
المتابع .

١٢ - زائده العلمي والادبي

قبل ان ترى « الحكمة الالهية » ايها القارئ العزيز ،
يجدر بك ان تلقي نظرة خاطفة الى تراث فيلسوفنا العلمي
والادبي لتعلم اي ذروة من السمو والكمال بلغت تلك
العبقرية المجنحة الخصبية ، فاقل ما يقال فيها انها جمعت كل
المعارف البشرية التي خلقت في العصور الغابرة الى القرن الثالث
عشر ، وبكل فخر نقول لك ان شاعرنا الفيلسوف ترك
لنا ٣٦ مؤلفاً من انفس ما جادت به قريحة بشرية ومعظمها
من « الوزن الثقيل » اذ بلغت بعض مؤلفاته الالف صفحة
من القطع الكبير وبعضها الخمسمائة ، وناهيك عن التأليف

فقد عني بالترجمة من العربية الى السريانية ، والتفسير
والتعليق على كتب بعض الفلاسفة الشرقيين والغربيين كما
شرح مؤلفات بعض الاطباء المشهورين ، وجمع فرائدها
وبحوثه الكثيرة هذه تتناول اللاهوت ، وتفسير الكتاب
المقدس ، والفلسفة ، والمنطق ، والطب ، والشرع الكنسي
والمدني ، والاخلاق ، والنسك ، والفلك ، والهيئة ،
والمساحة ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والموسيقى ،
والتاريخ ، واللغة ، والشعر ، والادب ، والحكم ،
والطقس الكنسي ، والوعظ وما الى ذلك من شتى المواضيع ،
ولا نستطيع في هذه النظرة العابرة الا اظهار هذه الالمامة
الضئيلة ، واذا شئت الاطلاع على ثبوت مؤلفاته ووصفها
فاقرأ اللؤلؤ المثور ص ٤١٤ - ٤٣٠ . هذا ما نستطيع
قوله الآن ، وبين ايدينا « اطروحة » نشتغل بها منذ مدة
لدراسة « فلسفة ابن العبري » لنظهر للعالم المثقف أي نابعة
قدمنا للعلم والفلسفة والدين والهدى .



صومعة ابن العبري ١٩ آب ١٩٤٩

ذكريات

متع الطرف بهاتيك القيم
واشهد الغزلان في روحها
هوذا الراعي على قيثاره
هوذا الغريد في الحانه
هداة كاخلد الا انها
وامتعد ذكرى لايم القدم
واتبع الغدران في اثر الغم
يطلق الارواح من سجن الالم
يمزج السحر بأعطاف النسم
متعة الروح لارباب السأم

ايها الغريد خلّد ذكرهم
وابعث النجوى لارواح الالى
ايها الصخر ألم تبصر لهم
في ذرى الالهام كم راقبتهم
كم رنت عينك في اسفارهم
كم رأيت النور في اجفانهم
يا جمال الدين (★) يا خدن العلى
واشرون في الكون هاتيك القيم
كانوا نوراً وضياءاً للأمم
في حشاك القاسي عيناً لم تم
يستقون الوحي من فيض النعم
يوم شالوا العلم في رأس العلم
كم رأيت الطهر في لحم ودم
يا محيط العلم يا رب القلم

(★) لقب للعلامة الشهير مارغريف غور يوس ابن العبري مفريان المشرق

من رحيق العلم من بحر الحكم
جئت ظمآنًا الى ذاك النعم
فاملأن كأسي بهاتيك الهم
انت للعلم سراج في الظلم
من سنالك الهادي يا عالي الهمم

انت امتاذي وكم ارويتني
هيات اسمعني نشيداً اني
هذا تغري جف من طول الظما
يا ابا العلياء يا بحر النهي
اشرق الانوار في ارواحنا

انت تغرا الخلد في الارض ابتم
اي لحن في ثناياك انسجم
مستهام الروح اضناني السقم
تسمع التحنان من روح وغم
فوقها آثار ذياك العظم
في ثناياها نسيات الشمم

يا ابا التاريخ يا كهف التقى
انت فوق الشعر قيثار الهدى
أناجيك بتلبي اني
في ظلام الليل ادعوك فهل
يا حبيب الروح هذه صخرة
يا عظيم القلب هذه جنة



نشرت في العدد الثاني من مجلة (لسان المشرق) .
السنة الثانية تشرين الثاني ١٩٤٩ لكاتب السطور .

מעשה אלהים

וְיָשָׁב דָּבָר לְכַלֵּי הָאָדָם 1 וְיִשְׁמְרוּ חֻמְמַת אֱמוּנָה :
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה .
 דְּבָרֵי אֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה :
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה .
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה :
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה .
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה :
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה .

1 - וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה . וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה :
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה . וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה :
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה . וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה :
 וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה .

2 - וְיִשְׁמְרוּ מִשְׁכָּלֵי הָאֱמוּנָה :

الحكمة الالهية

توارى خجلاً من طهرها	خطرت والشمس في راد الضحى
وبهاء الجسد في منظرها (١)	غداة والحسن في أجفانها
حثيرت كل الورى في أمرها (٢)	كاعب ، ام ، عجوز ، طفلة
لم ينلها واحد في سرها (٣)	كم رجال قد اصابوا وصلها
واضطرام وتللات الجوى (٤)	في حياها عفاف طاهر
انها تأبى خضوعاً للهوى (٥)	وبها شوق الى الوصل كما
قلبا بلحب والشوق اكتوى (٦)	وهي تفري بيوت كالتي
وحياء فوق خديها استوى (٧)	ترفع الرأس على احبابها

- «١» الغادة هي الحكمة ؛ وهذه اوصاف تتفرد بها .
- «٢» هي كاعب عذراء ، لانه لم يتوصل احد الى كنهها ، وهي ام لانها تصدر جميع المارف ، وهي عجوز لقدمها وسموها ؛ وهي طفلة بالنسبة الى الذين لم يدركوا شيئاً من معرفتها .
- «٣» الرجال ، هم الحكماء الذين اصابوا المعرفة ؛ ولم يتوصل احد منهم الى كنه سرها .
- «٤» العفاف في حياها يرمز الى غموضها عن الناس ، واضطرام الجوى الى كونها تدعو الناس الى المعرفة .
- «٥» بها شوق الى الوصل لانها تريد ان يفهمها جميع الناس ، وتأبى الخضوع للهوى بالنسبة الى الجهال .
- «٦» هي تفري ، اي تدعو الناس اليها .
- «٧» احبابها هم الذين احبوها فانها ترفع الرأس عليهم لانهم لم يصيبوا شيئاً من سرها .

- هي تنزي ثم تجفون انفساً
عذبة والسحر في الفاظها
تعشق الصمت وتهوى عزلة
حلوة النجوى وذي الحظايا
- ندبة تدني وتمني بالنسوى (٨)
ومرار في مجاليها ثوى (٩)
وخجيج منها في الجو دوى (١٠)
كل سهم فأنك فيها انطوى (١١)
- في عيها ضياء ساطع
وعلى الكفين ليل دامس
بين جفنها شموس شمسعت
وقوى الكون على اقدامها
- ورسوم من شعاعات النهار (١٢)
راكماً يجهو يميناً ويسار (١٣)
وبدور ورياح وبخار (١٤)
مجدت تبدي خشوعاً ووقار (١٥)
- فوق خديها بروق أومنت
ولهييب الائم ابدى هول
- والسمع فيه آثار القبل (١٦)
برعود وانفجار في القل (١٧)

- «٨» تدعو مجيها ، وتأنف من الجبال وتدني الحكاء ، وتأنى عن الخفى .
- «٩» هي عذبة للذين تذوقوها ، ومرة للذين لم يرفوها .
- «١٠» تهوى الصمت والعزلة ، لأنها في مراتب السكون والهدوء تنال
وبها خجيج لدعوة الناس اليها .
- «١١» هي حلوة الحديث للذين أحببها ، وقاسية على الذين ابتعدوا عنها .
- «١٢» أي ان عيها مصدر النور والمدى .
- «١٣» الليل كناية عن شعرها ، وه نساء عدم المعرفة بالنسبة للذين هم
بميدون عنها .
- «١٤» الشموس والبدور والرياح بين جفنها لأنها هي اوجدتها منذ القدم .
- «١٥» كأن الكون كله خاضع للحكمة .
- «١٦» القبل كناية عن شفها بالحكمة .
- «١٧» رمز غضبها على الذين لا يحبونها .

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ 1 مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ أَبُو حَنِيفَةَ
أَبُو سَائِدٍ 2 يَحْتَسِبُ قُرَيْشِيًّا أَبُو سَائِدٍ

مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ
مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ
مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ
مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ

أَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ
أَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ
أَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ
أَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ

أَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ
أَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ

1 - مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ

2 - مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ

3 - مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ

4 - مَوْلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنُ أَبِي حَنِيفَةَ

- وعلى صدرها رمان غفيا . 18
وبدا التفاح في وجنتها
- تيمتني بجمال ساحر
واستباني الحب منها ومضى
حاشي الجوع وأرداني الظمأ
وبنجوى طيفها الغالي ذوى
- ومع الطراق قد ذقت الردى
في « رواق » (18) رحمت ابني وصلها
هذه الجزر واثنينا ولم
زاد وجددي وحنيني فلقد
- ادنف القوم ولا طتب يرى
هاموا في الحلم وأبصارهم
- لؤلؤاً عذبا تناهى واصكتل (18)
مثل مصباح لانوار الامل (19)
- وتصبت بالهوى قلبي المليل
عن عيسوني النوم والداه وييل
عابثاً في مقلتي السهد الطوبيل
في فؤادي أملي الزاهي الجميل (20)
- سائرأ في مهمه طول المدى (21)
وفؤادي يتلظى ككمد (22)
اعثرن فيها على غير الصدى (23)
ذهبت آمالي في البحث سدى (24)
- او يداوي - كلهم صب عليل - (25)
عميت بأسا وقد عزز المقييل (26)

-
- 18» الرمان رمز العلوم والمعارف . 19» التفاح رمز الهدى والنور .
20» معنى هذا المقطع كله شغفه بالحكمة ، وسهره المتواصل على نوالها .
21» الطراق هم طلاب الحكمة وسيره في قفر ، رمز الى شدة بحثه عنها في
مهامه هذا العالم .
22» الرواق كناية عن العهد القديم ، ومعارف علمائه .
23» الجزر واثنينا ، كناية عن بحثه في كتب فلاسفة اليونان عن الحكمة فلم
يجد فيها غير الصدى ؛
24» يتأسف لان اتعابه ذهبت سدى في البحث عنها في هذه المواضع .
25» القوم الذين طلبوها فما وجدوها .
26» رمز الى توصلهم الى بعض المعارف الخيالية التي ليست من الحكمة بشي .

دَلَّجًا مَتَمًا تَهْدِيهِ تَمَقُّلًا وَلَا تَهْمُنَا
هَلَا أَدْوَمًا كَهْ تَمًا 2 هَبَّ تَاهُكُنَا

صَلُّوا 3 تَمًا 3 وَصَلُّوا أَيْ تَمًا تَمًا تَمًا
تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا
تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا
تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا

لَا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا
تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا
تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا
تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا تَمًا

1 - تَمًا تَمًا تَمًا

2 - تَمًا تَمًا تَمًا

3 - تَمًا تَمًا تَمًا

4 - تَمًا تَمًا تَمًا

وسراب خادع ظنوا به
ورأوا ومضاً كذوباً فسدوا

مورداً عذباً وقد عز الدليل (٢٧)
يتبعون الومض والطارف كليل (٢٨)

حطني الدهر على محسوفة
رطوبة ظمأى وفي اجوائها
وثرأها لؤلؤ، حصباؤها
رفرف البؤس على تجارها

في رباها عائق النور والظلام (٢٩)
لهبات واحترق واختطام (٣٠)
ذهب والدر في ذلك النظم
الا آحاد لهم بعض الخطام (٣١)

حولها الاسوار تملو ستة
هي تبدو واحداً في رصها
شاخحات مسامكات في الذرى
بعضها كل وحكل بعضها

تنطرح الجوى وتزري بالسما (٣٢)
وهي تبدو ستة وسط الهواء (٣٣)
دائرات راسمخات كالبناء
ولما الابراج في ذلك الهواء (٣٤)

٢٧٥، السراب كناية عن الامل البراق الذي ظنوه نور الحكمة العذب ؛ واذا به باطل .

٢٨٥، الومض كناية عن بعض التماعات كاذبة ظنوهما النور الحقيقي من الحكمة ، واذا بها باطلة .

٢٩٥ اي جزيرة ، وهي رمز الفلسفة .

٣٠٥ لان بها تعرف العناصر .

٣١٥ لان كثيرين من الفلاسفة اهلكوا نفوسهم .

٣٢٥، الاسوار الستة كناية عن العلوم الفلسفية الستة عند الاقدمين ؛ او اقسام الفلسفة الستة .

٣٣٥ ذلك اشارة الى علاقة الموضوع بالمحمول وبالعكس .

٣٤٥ اشارة الى ابتواء البعض في الكل ، واحتواء الكل البعض (في الفلسفة) .

1. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$
 2. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$
 3. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$
 4. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

5. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$
 6. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$
 7. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$
 8. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

9. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$
 10. $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

1 - $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

2 - $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

1 - $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

4 - $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

5 - $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} (v^2) = v \frac{dv}{dt}$

- وبد (٣٥) شادت على ساحاتها
 حصرت فيها هضاباً وربى
 حركها مثلى وهدايا ونهى
 خعت الخلان حظا وافرا
- مدناً عشريناً كشمس طالعه (٣٦)
 وجببالاتا وسببولا واسمعه
 وابتكرات العقول المساطعه
 ما عدا قلبي وعيني الدامعه (٣٧)
- وابتنت اسواقها اربعة
 فيها خير ، فيها شر ، قائم
 حنطة خمر ، وزيت وافر ،
 نعات مساحرات في الذرى
- وحكى الآباد في ارجائها (٣٨)
 وظلام الليل في اضوائها (٣٩)
 وثمار الارض في انحائها (٤٠)
 تحلب الانفس في اصداؤها (٤١)
- نمة تلقى الضيا في (بابل)
 اختها تمنح (مصر) سحرها
- وهي ترقى في ذرى آفاقها (٤٢)
 فتير الارض من اشراقها (٤٣)

٣٥» هي اليد اليونانية التي اقامت صروح الحكمة والعلوم القدي .

٣٦» اشارة الى المقولات العشر في المنطق .

٣٧» هذه الامور كلها دلالة على ان الفلسفة تتناول مختلف هذه المواضيع .

٣٨» العلوم الاربعة الاساسية عند الاقدمين : علم الهيئة ، وعلم الهندسة ، وعلم

الفلك ، والموسيقى .

٣٩» اي يستطيع الانسان ان يستعملها لاخير والشر بحسب ارادته ، والنور

والظلام من ابحاث علمي الهيئة والفلك عندهم .

٤٠» هذه الامور تتناولها الهندسة باعدادها الارض للزراعة .

٤١» وهذا من عمل الموسيقى .

٤٢» اشارة الى ان البابليين اول من اوجد علم الهيئة والفلك .

٤٣» اشارة الى ان مصر اشتهرت بالسحر والهندسة .

- نُمة اخرى بها فينيقيا - تميز الاغوار في اعماقها (٤٤)
وتيل الترك اخرى شجوها فيميد الدهر من اشواقها (٤٥)
- ورأت عيناى اختين على ذلك الربيع باثواب البهاء (٤٦)
شيخة فضلى واخرى ككعب ابتها ملك بذيالك الضياء (٤٧)
كانت الشيخة أما وكذا هي اخت للتي فيها الرواء (٤٨)
قيدا سبياً وذلا وغدا عبد دهر السوء ذياك النقاء (٤٩)
- تلقست كبراهما فوق العلى فتمس العمق من تلك السماء (٥٠)
ومضت صراهما هائمة مثل طير فوق اكتاف الهواء (٥١)
ورنت للكبرى كي تمنحها نعمة الوحي باسلاك الهواء (٥٢)
تكتب الوحي على الارض كما تودع الالهام في سفر النقاء (٥٣)

- ٤٤) لان فينيقية اشتهرت بالملاحة كدولة بحرية .
٤٥) اشارة الى ان الترك اشتهروا بالموسيقى منذ القديم .
٤٦) الشمس والقمر ، وعند بعضهم العلوم النظرية والعملية .
٤٧) الملك هو الله او العقل الصادرة منه العلوم ، والشيخة هي الشمس ،
والكعب القمر .
٤٨) اشارة الى ان الشمس تمد القمر بالنور ، او عند اهل الرأي ان العلوم
النظرية هي مصدر الاعمال .
٤٩) اشارة الى هبوط القوة الى الارض . ٥٠) اشارة الى ارتفاع الشمس .
٥١) اشارة الى سير القمر في الفضاء .
٥٢) اشارة الى ان القمر يستمد النور من الشمس .
٥٣) اشارة الى هبوط اشعة القمر الى الارض وانسكابها على التراب . او
بتفسير آخر ، ان العلوم النظرية بواسطتها تدرك العوالم الفلكية والارضية
والعلوم العملية وظيفتها في هذه الارض .

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

هَام رَبِّ الْأَرْضِ (٥٤) وَجَدَّ أَبَ الْجَمَالِ
مَزَقَ الْقَلْبَ عَلَى كَتَمِهَا
سَلَّطَ الْأَخْتَيْنِ فِي أَمْلَاكِهِ
بَدَاكَ اضْحَى رَفِيقًا بَانِسًا

وَعَدَا كَالطَّيْفِ أَوْ مِثْلِ الْخَيْسَانِ
وَعَدَا عِبْدًا لَذِيكَ الْكِبَالِ
يَبْقَى فِي الْحَبِّ أَطْرَافَ النَّصَسَالِ
مِثْلَ مَأْسُورِ بَهَاتِيكَ الْجَبَالِ

هَذِهِ الْكُبْرَى أَنَا جِئْتُهَا بِمَا
أَنهَا تَحْنُو عَلَى بُوْسِي وَفِي
حَدْرَتِي - وَالنَّيِّ فِي لِحْظِهَا -
لَا تَكُنْ غَرًّا أَيَا هَذَا الْفَتَى

فِي فَوَادِي مِنْ شَقَاءٍ عَالِقِ
مَقَاتِلِهَا كَرَجَاءٍ بَارِقِ
وَمَقْتِنِي مِنْ شَذَاهَا الْعَابِقِ
وَاحْذِرِ الدَّهْرَ بِمِزْمِ صَادِقِ

مَوْفٍ تَلْقَى كُلَّ هَوْلٍ فَاتِكَ
وَشِبَاكَ وَنَسْرَاكَ وَوَمَدَى
خَذْ دَلِيلًا أُخْتِي الصَّغْرَى الَّتِي
فِي تَهْدِيكَ طَرِيقًا سَالِمًا

فِي طَرِيقِ ، وَرِيَاحًا تَصْفِرُ
وَوَحْشًا جَائِمَاتٍ تَزَارُ
فِي هَوَاهَا كُلِّ صَبِّ يَفْخَرُ
حَيْثُ تَلْقَى مِنْ أَيْمَانِهَا تَنْظُرُ

فَتَرَكْتَ الرَّبِيعَ فِي أَهْوَالِهِ
سَالِكًا بَيْنَ جِبَالِ وَرَبِي
فَرَأَتْ عَيْنَايَ قَطْمَانًا عَلَى
وَرَعَاةٍ مِثْلِ ابْنَاءِ الرَّؤْيَى

هَاتِمًا فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ رَهِيْبِ
وَحَزُونِ شَائِكَاتٍ وَلَهِيْبِ
وَاحَةِ خَضْرَاءٍ فِي مَرَجٍ خَصِيْبِ (٥٥)
وَاجِي الْأَرْوَاحِ فِي سِرِّ عَجِيْبِ (٥٦)

«٥٤» رَبِّ الْأَرْضِ ، هُوَ الْمَقْلُ الَّذِي هَامَ بِهِذِهِ الْعُلُومُ كُلُّهَا وَرَاحَ يَدُأْبُ فِي
تَحْصِيلِهَا وَتَوْسِيْعِهَا .

«٥٥» شَعْبُ اللَّهِ الْقَدِيمِ .

«٥٦» الْأَنْبِيَاءُ الرَّمَلُونَ .

- هذا يصفي فسوق طسود واذا
 طأطأ الجو له جمرأ ونار (٥٧)
 ذاك تخفيته غيابات السما
 ففدا للارض يعلها الشرار (٥٨).
 ذلكم طار على جنح العلى (٥٩)
 ذلكم يسر اغوار البحار (٦٠)
 هذا يفتو على جنب واحد فيغذيه رماد وغبار (٦١)
 ذلكم مزق قلباً. بانسناً راسماً رمزاً باضواء النهار (٦٢)
 هذا يكي بدموع ثرة (٦٣)
 ذاك يشدو بلحوت عالية (٦٤)
 هذا يجر آسراً اسد الشرى (٦٥)
 ذاك يشدو وسط نار حامية (٦٦)
 يقطف العنقود حياً واحداً (٦٧)
 ويميت الجوع ذاك الداعية (٦٨)
 هذا يخشى الكون من قضبانه (٦٩)
 ذاك تبدو الشمس منه خاشية (٧٠).

-
- «٥٧» موسى النبي في الجبل وامامه العليقة تلتهب .
 «٥٨» ايليا النبي الذي ارتفع الى السماء بعجلات نارية .
 «٥٩» اخنوخ الذي نقله الله اليه .
 «٦٠» يونان النبي الذي مكث في بطن الحوت وفي البحر ثلاثة ايام .
 «٦١» حزقيال النبي . «٦٢» ميخا النبي . «٦٣» ارميا لانه كان يكي دائماً
 «٦٤» داود المرتل . «٦٥» دانيال في جب الاسود .
 «٦٦» اولاد حننيا في الاتون . «٦٧» ابراهيم الخليل والكبش .
 «٦٨» يوسف الصديق . «٦٩» موسى النبي وعصاه .
 «٧٠» يشوع بن نون الذي اوقف الشمس .

بينهم صب وضيء وجهه وله تاج من الدر العجيب (٧١)
 هام مثلي بالتي في لحظها وهوأما تيمت قلبي الكئيب
 كانت يسكي ويناجي طيفها ويفنئها على الفصن الرطيب (٧٢)
 وهي تنأى انفاً او رفعة اذ رأت في قلبه امرأ مريب (٧٣)
 فوق ذاك التاج اسرى نعلها (٧٤)
 وابتنى قصراً لها مثل السهي واقتدى نجواها بالملك الحبيب (٧٥)
 فازدرته وازدرت منه النحيب فازدرته وازدرت منه النحيب

اذ رأت عيني هوأنا للذي حسنه يزري بانواره الصباح (٧٦)
 وله تغنو جباه حرة وله البحر وهاتيك البطاح
 يثت روعي وفي قلب الثرى غبت ابني وأد هاتيك الجراح
 وبكت عيني جهاداً ضائماً ورجاء راح ادراج الرياح

غير ان الحب في تضارمه لم يدعني لأرى طيف الكون
 مره حلوا وفي آلامه نشوة تزري بألوان المنون
 عدت للمورد لأروي ظمائي أملاً الكأس وفي قلبي الشجون
 علي انجو من البؤس الذي عض قلبي ونضا دمعي الهتون

- ٧١» سليمان الحكيم الذي هام بالحكمة ، فقدم لها الامثال ونشيد الانشاد .
 ٧٢» مستمدة من قول سليمان في نشيد الانشاد : اصعد الى النخلة ، وامسك
 بمذوقها ، وتكون ندياك كمنقيد الكرم - نش ٧ : ٨ .
 ٧٣» لان سليمان شد وراء آلهة الامم فسجد لعشتاروت وغيرها من الاصنام .
 ٧٤» لانه سمى الحكمة تاج رأسه .
 ٧٥» لانه طلب من الله الحكمة وحدها دون ان يطلب الملك .
 ٧٦» سليمان نفسه الذي خضع للملك البر والبحر .

كرماء الارض عن اسرارها
قلوا كان الغائب منها ينجلي
لم يروا منها الميما انبها
وتوارى نورها مخفيا
حسبوني وانا في محنتي (٧٧)
في ايمانهم فزادت حيرتي (٧٨)
اخفت الخدر بجنح اللجنته
هاربا خلف مسار الظلمه

قلوا تهوى الصيد دوما طففتي

فاجبت رهط صيد بائس (٧٩)
حطني الشوق بحملي بينهم
ضمدوا قلبي وعزوا كربتي
فانبت بالحب روحني اثاره
وبشاطي البحر تبدو مسافره
واناتيه صلات وانوره
فراو يؤسي ونفسي الحساره
فانبت بالحب روحني اثاره

قلوا ان البكر راحت واخفت
وحبتنا الوحي من اجفانها
علمتنا الصيد والقوس كما
وهي تسقي رهطنا من خرما
في ستور من لبيب وسفير
وهي ترعانا من الجسو الاثير
الهمتنا العبر في الامر الخطير
بكنؤوس من ضياء وعبير (٨٠)

«٧٧» كرماء الارض هم الانبياء .

«٧٨» طيفها عبارة عن ظلال ناموس موسى .

«٧٩» رسل المسيح الصيادون .

«٨٠» اشارة الى الوحي والعلوم الالهية .

ان طابت الوصل بين سبتي الدلال
او رعبت الوحي والسحر الحلال
ثمّ دنا الآلام كما فالدمما
غطت الدرب على تلك الرمال
كن شجاعاً مثل طود راسخ
واقف الصنبر لهاتيك النبال
وأغلب الآلام في ميدانها
فلاقبنا وتمحطى بالوصال

سوف تلقى جبلا مثل السهي (٨١)
فوقه الانهار والبحر الرهيب (٨٢)
وربما عاصفات في الذرى
وعلى السور حصونا من هيب
في علاها مد خدر للقي
تمت روحك بالحسن العجيب
طر اليها بجناح راسخ
فتداوي قلبك الذاوي الكئيب

فتوجهت - وقلبي خافسق - نحو ربيع خلته ككل العزا
فبلغت الطود (٨٣) معي متعبا وصعدت السطح في وقت المساء (٨٤)
وفى لاقاني في تلك الربى يحجب الشمس بذياك البهاء (٨٥)
نوره يزري باملاك السما وهو ثاو تحت جسم البر نساء (٨٦)

٨١) الربيع . ٨٢) الملائكة ٨٣) الارض .
٨٤) في وقت الشيخوخة . ٨٥) سيدنا المسيح له المجد .
٨٦) البرنساء ، الانسان ، وهي مأخوذة من كلمة سريانية : (زنوشو)
(حذوها) واستعملها ابن العبري في مختصر الدول ص ٢ سطر ٤ طبعة صالحاني .

رهبة منه بقلبي قد مضرت
وارتمى جسمي كشلو وغداً
واختلاج عاصف في مهتجتي
انمرتني بالجوى طلعتني
غاب عني الرشيد والعقل خبا
وتلاشت ذاتي عن ذا كرتي

مبد كفاً مثل اعطاف الندى
مانحا نفسي وعقلي جدة
فانتشت روحي بلفظ منعش
بشت - آمالي من ارماسها

قل لي كيف أتيت المرتقى
ما دعاك الآن للسؤل على
جئت حراً بهوى النفس ترى
سرت في القفر وحيداً قائماً

عقد الصمت لساني وغدا
ماتت الاعذار في ذا كرتي
جاش قرن الهول من حضرته
لم اكن ادري جواباً شافياً

واقشعرت روحي من ذلك الضياء
شبه ميت عند ذياك السناء
من سناء واضطراب وارتماء
ورمتني بين انياب الشقاء
ومخاض حاق روحي وانطفاء
وتولاني دوار وفساء

وانتضاني من دياجى الظلمة
نافخا في وجهي روح النعمة (٨٧)
وبنجواه توارت غمتي
وانتشى عزمي وعادت حكمتي

- وتجاسرت - الى هذا المكان
مورد الموت ورب الحداث
ام بتحريض تلقيت البيان
ام اناك الهادي في درب الامان

ذلك السؤل رباطاً افمي
من سنا طلعتني المضطرم
والتظى الشوق كنفار في دمي
رهبة هدت كياني المبدم

٨٧٥ - اشارة الى العمودية والايان .

فرا آني بإسماً . . . تصغيري
 راح يخفي النور في جبابه
 فأفقت روعي من غفوتها
 قد غدا مثني بلحم ودم
 وتحدثت اليه بهوى
 وهو بصفي باتبهاج كامل
 فسقط القول عن موطنه
 وتطرفت الي احواله
 اني نجل ملك (٩٠) قاهر
 جني ذيك الذي منه بدا
 وبلادي فوق هاتيك السهى
 واسمي حي ابن يقظان كما
 وثلاث من قلاع كالسهى
 حولها امتدت بحار تسمية
 وبصدر الجو تلقي ماها
 قطرات دون مزج وحدث

٨٨٨، اشارة الى اخفائه الآلهية في الناسوت .

٨٩٠، تساوى معي في الجسد وليس في رفة الآلهية

٩٠٠، الملك هو الله تعالى . ٩١٠، كناية عن سلطان الله الفائق .

٩٢٠، كناية عن منح الله السلطان للملوك وخلفائهم . ٩٣٠، كناية عن السماء .

٩٤٠، حي ابن يقظان ، اي انه من الله ذي اليقظة الازلية ، وقد دعاه الانبياء

والرسل والفلاسفة بهذا الاسم . ٩٥٠، بيع الملائكة الثلاث .

٩٦٠، طمات الملائكة التسع وهي منفصلة عن بعضها . ٩٧٠، اي تبث تساويها

الى قدس اقداس الله تعالى . ٩٨٠، اشارة الى انفصال تساويها من بعضها

ورفع جميع هذه التساويح الى غاية واحدة هي تمجيد الله تعالى .

وَبِشَرِّكُمْ تَلَابُثًا ۖ وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۖ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلًا ۚ أَلَا تَدْرِكُونَ
 مَا مَنَعَهَا لِيَسْبَغَ فِيهَا وَجْهُهُنَّ ۚ وَمِنْهَا
 سُبُلٌ مَّا حَسِبْتُمْ أَنَّهَا كَرِيمَةٌ ۚ إِنَّهَا
 خَبِيرَةٌ ۚ وَمِنْهَا مَذْيَبٌ ۖ وَاللَّهُ لَبِيبٌ
 أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ
 لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ
 وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ
 أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ
 وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ
 أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ
 وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ
 أُنَاسًا ۚ وَاللَّهُ لَبِيبٌ أُنَاسًا ۚ

ففي اسباب عجب وحسان (٩٩)	اما اسباب مجيبي ها هنا
وبأجر مستطاب يخدمان (١٠٠)	كان عبدان بوقت لابي
صبح والليل وتنظيم الزمان (١٠١)	فكبير يحمل المفتاح لـ . . .
بأمر الريح ويطوي الحدتان (١٠٢)	وصغير كان في قيد الثرى
ومضى يدي صنوف الكبرياء (١٠٣)	أبق الاكبر من سيده
عائثا في الارض حرباً وبلاء (١٠٤)	شامخ الانف على اقرانه
لصغير المضي مكرأ ودهاء (١٠٥)	نصب الفخ على درب الهوى
واستباه الفخ من دار الهناء (١٠٦)	ونجث ساحر ككبله
في جهاد لاصطياد الماكر (١٠٧)	غضب الملك والقسى جنده
ويجازوه جزاء الجسار	آمرأ ان يهدموا معقله
في هوى الخبث وطبع الغادر	خير ان الماكر الجاني مضي
ويدارهم بلحظ ساحر (١٠٨)	راح يصلي الجند في نيرانه
لاييد المارد الجاني الزنيم (١٠٩)	فانتضاني الملك من مهجته
فارد السهم في قلب الغريم (١١٠)	ويلاقي صدري سها فاتكا
خوف ان يعرفني الباغي الرجيم (١١١)	زي اهل الارض قد جئت به
ويوت المضي في الاسر الاليم (١١٢)	فيولي الوجه عني هاربا

«٩٩» اسباب مجي المسيح الى الارض . «١٠٠» العبدان هما الشيطان و آدم الانسان
«١٠١» اشارة الى قبل السقوط . «١٠٢» انه أخذ من الارض وتسلط عليها .
«١٠٣» تمرد الشيطان وكبرياؤه . «١٠٤» تجبره على خالقه . «١٠٥» اغراؤه للانسان
«١٠٧» اسقاطه اياه في شرك الشر والمعصية . «١٠٧» كناية عن ارسال الانبياء
لقمع الشر . «١٠٨» حارب الانبياء والمرسلين وحاول اغراءهم ايضاً .
«١٠٩» أرسله من روحه لمحاربة الشر . «١١٠» اشارة الى الآلام التي قاساها في
الارض ونتيجتها . «١١١» اي انه جاء بشكل بشري لينخدع الشيطان .
«١١٢» خوفاً على الانسان المأسور في أغلال الشر .

أَمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ مَن دُونِ اللَّهِ
كَمَا دَعَّيْتُمْ أَتَىٰ اللَّهُ الْكُفْرَ
وَالشُّرْكَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
فَلْيَدْعُوا حَتَّىٰ يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ
وَلَا يَسْمَعُوا
لَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ

أَلَمْ يَدْعُوا إِلَىٰ مَن دُونِ اللَّهِ
كَمَا دَعَّيْتُمْ أَتَىٰ اللَّهُ الْكُفْرَ
وَالشُّرْكَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
فَلْيَدْعُوا حَتَّىٰ يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ
وَلَا يَسْمَعُوا
لَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ

أَلَمْ يَدْعُوا إِلَىٰ مَن دُونِ اللَّهِ
كَمَا دَعَّيْتُمْ أَتَىٰ اللَّهُ الْكُفْرَ
وَالشُّرْكَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
فَلْيَدْعُوا حَتَّىٰ يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ
وَلَا يَسْمَعُوا
لَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ

أَلَمْ يَدْعُوا إِلَىٰ مَن دُونِ اللَّهِ
كَمَا دَعَّيْتُمْ أَتَىٰ اللَّهُ الْكُفْرَ
وَالشُّرْكَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
فَلْيَدْعُوا حَتَّىٰ يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ
وَلَا يَسْمَعُوا
لَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُؤْتُوا
أُذُنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَمِ

صرت في الارض غريباً بلا
سرت وحدي لا جيوش لا ولا
حاقني في دربي هول فادح
وتجالت بعزم ثابت
قالوا ان المنارد الجاني مضى
فصعدت العود كي الحقه
فراآني وارتمى من هيتتي
فبطت الفار في تطلابه
جنته في الفار ، والصبر مضى
صكبه الكنف مني وغدا
ورفت المرهق المضني الذي
فندا حرا طليقا ظافرا
وتراني رامقا اضعبانه
خوف ان تضعف في تسيارها
اما انت الآن فاحتم سميك
لا تعد يوماً عن الدرب الذي
مئل بحاسوس ومسكين سقيم (١١٣)
في ركابي حاجب برحيم (١١٤)
ورماني الدهر سهماً في الصميم
واجتمت البؤس والامر العظيم
فوق هذي الارض في الجو يريم
ساحقا اياه في عرض السديم (١١٥)
واختفى في الفار ذياك اللئيم
وحشدت العزم والهول الجيم (١١٦)
فسحقت الرأس والقلب الذميم
في قيود في دجى الليل البهيم
كان مأسورا مهاناً في الرميم
وبمز عاد لايت القديم
بقوادي تدخل البيت الكريم
او تمناني الضيم من لص اثم
... يادي واحذر كل شر كالحكيم
خطه الملك على النهج القويم

«١١٣» اشارة الى قوله : لثعالب أوجرة ولطايور السماء او كآر الخ . .
«١١٤» اشارة الى بؤس المسيح في هذه الارض .
«١١٥» صعوده الى الصايب ليقلب الآلام بالامه .
«١١٦» هبوطه الى الهاوية لخلاص البشر .

وَتَمَّتْ لَكُم بَنَاتُكُمْ وَأُولَآئِكَ
 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ .

وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِهِمْ وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِهِمْ وَأُولَآئِكَ
 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِهِمْ وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِهِمْ وَأُولَآئِكَ
 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِهِمْ وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِهِمْ وَأُولَآئِكَ
 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

1 - وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

2 - وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

4 - وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

5 - وَأُولَآئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

هَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ .

خذ شعاراً خائبي هذا الذي -
وانق الخزيق - فيه واحذر
صنه دوما باحتراز خوف ان
فتيد الروح موتا فاقدا

وتلاقي فندقا حيا به
وله خمس كوى كبرى ولا
فيه آساء الشرى اربعة
كن شجاعا واحذر انيابها

كن حكيما واسددن تلك الكوى
اسرعن خوف افتراس فانك
وثلاث من وحوش ربضت
نمر جهنم ووحش كاسر

ايس سور لا ولا شيء بقي
فترها رابضات تلتظي
همهمات الشر في اصواتها
كن سريع الخطو واحذر شرها

فيه حيي - وبه ذكرى يدوم (١١٧)
شر حراس على تلك التخيوم
يتيك الظالم الباغي الفشيوم
كل طب او علاج لكلوم

كل لون ، لم يصل ارض الشقاء (١١٨)
تبصرن باباً لذياك البناء (١١٩)
زائرات كل صبح ومساء (١٢٠)
فهي غرثى ، هي عطشى للدماء

وامنع النفس ترى منها الضياء
من نيوب فيها موت وفناء
شر منها وبها كل البلاء (١٢١)
شم افعسى شر كل البلاء

من اذاهما في جميع المسالين
كامنات في طريق المسارين
غمغمات الصوت في ذاك القطين
خوف ان تلقيك في قلب الكين

١١٧» سمة الايمان ، ورسم العمودية .

١١٨» الجسد .

١١٩» الخواس الخمس الظاهرة .

١٢٠» العناصر الاربعة عند الاقدمين .

١٢١» قوى النفس الثلاث الغضب ، والشهوة ، والمنطق .

فَمِنْ قَوْلِهِمْ وَبَدَّلْنَا مُجْدِبًا ذُو أُنْجُسٍ إِلَى
ذُو نَجَسٍ مُهْتَكِرًا كَلْبًا مَلِيحًا وَنَزَّلْنَا
إِلَيْهِ سُلَيْمَانَ 2 وَنَزَّلْنَا لَهُ الْقُرْآنَ مَكْتُومًا
مُتَشَابِهًا مَغْنَمًا 3 فَطَرْنَا لَهُ مَا نَشَاءُ لِنُؤْمِنَ
بِهِ

لَمَّا جَاءَهُ الْوَيْلُ مَعَهُ وَهُوَ مُحْدَثًا
بِنُجَا مُتَحَدِّثًا 3 وَتَبَيَّنَ دُونَهُمَا هَبْطُهُمْ
مُتَمَدِّدًا 4 وَتَبَيَّنَ دُونَهُمَا مُتَقَبِّدًا
أَبْرًا 5 وَتَبَيَّنَ مَدِينَتُهُمْ لِأَهْلِهَا مُتَمَدِّدًا

لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ وَتَبَيَّنَ قَوْلًا جَلِيلًا
وَدَعَا لِقَوْمِهِمْ كَقَوْمِ الْآصِفَاءِ 6
وَتَبَيَّنَ لِقَوْمِهِمْ هَلْجُهُمْ أَوْ لَحِقَهُمْ
أَبْرًا 5 مَعَ حَتْمِهِمْ لِقَوْلِهِمْ هُوَ كَلِمَةٌ
لِقَوْمِهِمْ

هَؤُلَاءِ جَاءُوا وَأَمَدًا مَبْرُورًا 4 لَمَّا مَعَ هَيْوَاتِهِمْ
وَمُتَمَسِّعِينَ دُونَ ذَلِكَ مُتَمَسِّعِينَ 5 وَتَبَيَّنَ لَهُمْ
قَوْلُهُمْ وَأُوتُوا نَجْمًا 6 وَتَبَيَّنَ لَهُمْ
هَلْجُهُمْ مَبْرُورًا 4 لَمَّا مَعَ هَيْوَاتِهِمْ

- جَدُّهُ إِذَا جَاءَ بِشَيْءٍ جَدَّ لَهُ أَيْ تَبَيَّنَ لَهُ .
- جَدَّ لَهُ إِذَا جَاءَ .

- جَدَّ لَهُ إِذَا جَاءَ بِشَيْءٍ جَدَّ لَهُ أَيْ تَبَيَّنَ لَهُ .
- وَتَبَيَّنَ لَهُمْ هَلْجُهُمْ أَوْ لَحِقَهُمْ هَيْوَاتِهِمْ .

من شمالي الرادي ابواباً ترى
عليها واسمها قبة غيبث
حشبي مثل شواب قوى
فإنما بغري وبدعير كان من

وحذاها عن بين العلود قد
رأسه في الجو في قلب السما
شامخ يزري بانظار العورى
وقليلون استطاعوا المرتقى

هيء النفس لكي ترقى بها
قوى الآمال من ذروته
حاذر الراحة لا تكسل ولا
ومن الشوك التقط ورداً وخد

سوف تلقى فوق طود جزراً
واثنتي عشرة مدناً ربضت
لها أعقاب من التبر ازدهت
وخدور أعصر رقت بها

جنت كورى وفيها المغريات (١٢٢)
لأنها جنادب فانتك
كأنما فيها يحيل النظرات (١٢٣)
سلك اللرب لشرب الموبقات

راح يعلو سلم فيه العجب (١٢٤)
وهو منصوب على تلك الترب
درجات فيه مبيع لم تصب
بمد أهوال وجهد ونصب

درجات السد العالي الرفيع
وترى الأفراح في قلب الرقيع
تموقف واهجر النوم السريع
منه اكليلاً كازهار الربيع

مطامات قد تته البصرين (١٢٥)
فيها سحراً لعيون الناظرين (١٢٦)
ومن الأولؤ والدر الثمين
ودهور وسويمات السنين

١٢٢» الابواب السبعة ، هي الخطايا السبع الرئيسية .

١٢٣» الحشبي او الزنجي ، اشارة الى الشيطان .

١٢٤» السلم ذو الادراج السبعة ، هو سلم الفضيلة الذي يرقى به الانسان الى الله .

١٢٥» الرقيع .

١٢٦» الابراج الفلكية الاثنا عشر .

أرضه. صفت بحجره واطبى
سنة من جرمه التي الضيعة
له ابراج عقيق قد غدت
رسم البلور في أعتابه

وخطام من بروف لامبسه
واللاكي والدراري الناصبه
دقائق من ضياء سباطمه
وبها ومضات دُر راعمه

في حماء امتد بحر واسع
حيوانات على اجناسها
تأكل الجرم ونروي بالدماء
وتغني كل تلح ساجر

من ضياء وهيب لا يرام
ساجات فيه دوما لا تظام
من هيب النار من ذاك الضرام
هاتفك منشقات لا تظام

فوق هذا ضرب المالك له
ربط الاطناب في اجنحة
أما اوتادها قد دق بها
وعلى امواج نار تلتظي

في سموق الجو فسطاس البهاء (١٣٠)
لمقول طاهرات كالضياء
في ظهور مشرقا بالقاء
رفع الاعماد في ذاك الفناء

فإنك الحذر فيه تلتقي
وهي ترويك بشعر باسم
ثم تغفو بين زنديك هوى
وتزيل البؤس عن كاهلك ال...

بالي تهواها من عهد بميد
من لهيب الشوق والحب الاكيد
بالعناق الحر والام المديد
مغنى عطفها بعد ارهاق شديد

١٣٠ هـ قدس اقداسه تعالى .

عظم الخطب على قلمي ~~سك~~ قدم مري في روجي نيار الاله (١٣١)
وتولاني شفاء فانك ورماني بين انياب السقم
وغدا الشهيد الذي في مهجتي علقها برأ واردي الدم
في طريق الف هول قد غدا مثل سد مانع مني القدم

قد حباني والدايا (١٣٢) صاحب (١٣٣) ككه خبت وشر مستر
يبغض الخير ولاشر غدا را كضا مثل غزال منتصر
فاذا الراحة كالطيف بدت فتراه مثل سبع قد زار
واذا الدهر حباه متعة فتراه مثل ماء ينهر

هو فغخ بينا كان اخا مبعض طورا وطورا كالصديق
دونه لا امشي شبرا واحدا لا ولا ألقى نهايات الطريق
فحري ان يداري تارة وهو طورا بلجومات خليق
تارة يستوجب الضرب كما هو طورا بعلاجات حقيق

في كياني خمس شوكات قست لهلاكي قد جتنيها الحياة (١٣٤)
تذفت السم زعافا قاتلا وامبابا سائلا فيه الممات
امذاني وضعت في مهجتي كلها شر وخبت وشمسات
وبذفت مستظير منها قد صرت معي متعبا بين السرارة

«١٣١» تألم للتضاد الرير الذي في روجه ، فهو حائر لا يدري هل يقتحم هذه
الاحطار وهي صعبة الاقتحام ، او يتركها فتضيع اتعابه ويفقد امله في لقاء الحكمة.

«١٣٢» الطبيعة . «١٣٣» الجسد .

«١٣٤» الجواس الحس الظاهرة واشواقها الخفية .

مَعًا مَعْتَدًا وَمُعْتَقَاتٍ أُولَئِكَ
 هُمُ الْمُؤْتَمِرُونَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
 إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ذُرِّيَّتَكَ
 وَإِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ

أُولَئِكَ أُولُو الْأَرْحَامِ الَّذِينَ
 حَبَّوْنَهُمْ أَكْرَهًا وَالَّذِينَ هُمْ
 يُغَارِبُونَ فِي الْمَخَالِبِ يُضِلُّكَ
 اللَّهُ فِي حُكْمِهِ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ

اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ
 أَجْمَعِينَ وَالَّذِينَ هُمْ يُغَارِبُونَ
 فِي الْمَخَالِبِ يُضِلُّكَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ
 يُضِلُّ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يَعْلَمُ
 خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
 الصُّدُورُ

وَالَّذِينَ هُمْ يُغَارِبُونَ فِي الْمَخَالِبِ
 يُضِلُّكَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ يُضِلُّ
 مَن يَشَاءُ اللَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ
 الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ

كمن الإبطال أردت ودرمت
كسريع قبضت اشراكها
فالذي يهواها قد زجت به
والذي يبغضها قد امننت

انها تزجيني في تهلكة
ورفيقا بانسا تجعلني
ابعدتني هي عن بيت ابي
وهي لم ترض فرجتني الى

وبخبت منها لا زلت على
وهي لا تهدأ عن ثورتها
ان شوقي الاول الزاهي غدا
غير اني متعب في خاله

يا خفياً جاء يوماً ارضنا
وتجلى منقداً كل الورى
ارأفن بالبائس المضى وجد
وليكن ملكك يا رب السما

في هوان وانحيازك واندمار
بخيوط واهيبات كالغبار
في نظاها بعد بؤس وانكسار
فيه ترغيبا وحشا واضطرار

بعد اخرى منذ ايامي الاول
للألى راموا انخذالا وكسل
فخبت في قلبي انوار الامال
غربة تضني وسحق ووجل

قارعات الطارق ملقى كالطعيت
فتشير الحرب ضدي كل حين
ينتضيني نحو ذيك المعين
فتراي في بقائي مستكين

خارجا من خصره العالي العظيم
ومضى بالنصر للبيت القديم
بخلاص العبد من نسير وخيم
غير مجذوب باشرالك اللئيم

مَقْبُولٌ لِيَسْمَعَ مَقْبُولًا قَائِمًا لِيَسْمَعُوا
 وَهَذَا قَدْ مَقْبُولًا مَقْبُولًا وَهَذَا هُوَ مَقْبُولًا
 مَقْبُولًا هُوَ مَقْبُولًا مَقْبُولًا وَلَا مَقْبُولًا
 مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا

لِيَسْمَعَ مَقْبُولًا لِيَسْمَعَ مَقْبُولًا مَقْبُولًا
 لِيَسْمَعَ مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا
 وَلَا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا
 مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا

لِيَسْمَعَ مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا
 مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا
 مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا
 مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا

(لِيَسْمَعَ مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا)
 مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا مَقْبُولًا



يا اخي الآن هيا تشدنت
يا وريث الوحي حقا والنهي
خذ نشيداً في رموز للحجبي
خذه من فكر جديب بانس
بنشيد الحمد ذيك النغم
واقانين المعاني والحكم
كن صبوراً لا ولا تبدي السأم
ومن المعرفة المثلي عقم

ان رب الكون فلسين غدا
لا يكن بؤس نشيدي مانعاً
انما «التشي» (١٣٥) ذلك للمصطفى
لم يكن بأنف من خبز اتي
واضعاً في كنزه العالي الكبير
غايي المثلي من الامر الخطير
من غدا بالطهر انفس العبير
بهم الغربان في الوقت العسير

وائن كنت غنياً بالتهى
وائن متنى كثيرين بما
خذ هداياي بالحماظ الرضى
لا تمازج جهدك العالي بما
قد ملأت الكنز من ذلك العظم
قد تجود الكف عطفاً وكرم
وتنازل واقبلن هذي القيم
في التواني من خنوع وسقم

لك حمدي يا آلهي فاقبلن
وسجودي لك يارب الورى
نفحة الشكران من قلبي الكئيب
بجنيي ايها الفادي الحبيب (١٣٦)



«١٣٥» التشي ، هو ايليا النبي الذي اكل خبزاً اتاه به الغربان .
«١٣٦» تصرفنا بتعريب البيتين الاخيرين بحسب الظروف .

صدر من سلسلة

« دراسات سريانية »

- ١ - السريان وحرب الايقونات
- ٢ - اهل الكهف في المصادر السريانية
- ٣ - ادب الرسالة عند السريان
- ٤ - الممالك الآرامية
- ٥ - القيامة العامة في المصادر السريانية
- ٦ - عقيدة التجسد الالهي في الكنيسة السريانية الارثوذكسية
- ٧ - كنيسة انطاكية السريانية عبر العصور
- ٨ - الراعي والرعية
- ٩ - الكتاب المقدس في كنيسة انطاكية السريانية
- ١٠ - السريان ايمان وحضارة - ج ١
- ١١ - السريان ايمان وحضارة - ج ٢
- ١٢ - *The Syrian Orthodox Church of Antioch at a Glance*
- ١٣ - السريان ايمان وحضارة ج ٣
- ١٤ - السريان ايمان وحضارة ج ٤
- ١٥ - السريان ايمان وحضارة ج ٥ (تحت الطبع)
- ١٦ - رحلة الى الفصح

- ١٧- يوحنا ابن العبري حياته وشعره
١٨- الالفاظ السريانية في المعاجم العربية

نعت الطبع

- ١ - حديث الحكمة - للعلامة المفريان
ابن العبري
٢ - مقالة في علم النفس . له ايضاً
٣ - التدبير الالهي لكلمة الله المتجسد
للعلامة مار يعقوب الرهاوي
ترجمة : المطران ملاطيوس برنابا

الفهرس العام

ج	المقدمة
١	حياته

تمهيد ٣ ، أسرته ٤ ، نسقفه ١٤ ، اعماله الروحية وروحه
الالهية ١٦ ، مفر يانينه ٢٠ ، قدومه الى المشرق ٢٣ ، رحلاته
الرعوية ٢٨ ، اساقفته ٣٥ ، علاقاته بالبطيركية ٤ ،
اعمله العمرانية في كيسة المشرق ٤٢ ، وفاته ٤٤ ، منزله ٤٨ .

٤٩	شعره
----	------

تمهيد ٥٠ ، المحبة والاخوانيات ٥٣ ، الرثاء ٥٥ ، المدح ٦٠ ،
الهجاء ٦٠ ، جمال الطبيعة ٩٣ ، قصيدة المروحة ٦٩ ،
الاخلاق والاجتماع ٧٠ ، النفس البشرية ٧٣ ، الفسفة ٧٥ ،
التصوف ٧٦ ، العقائد ٧٩ ، الحكمة ٨٠ ، تراثه الملهي
والادبي ، قصيدة ذكريات ٨٥ .

قصيدة الحكمة الالهية
(بالسريانية والعربية)